

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار طنجير الأغواط



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة



قسم التاريخ

المكاتب العربية ودورها

في توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستري التاريخ

تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

إشراف الأستاذ:

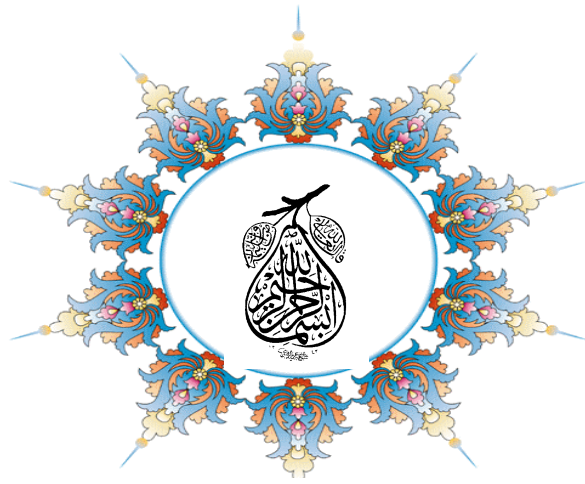
محمد عطية

إعداد الطلبة

مسعودة جعيد

فاطمة الزهراء معيوف

السنة الجامعية: 1441هـ / 2019-2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

سُرِّبَتْكُمْ لِقَائِي

أعزني لساناً أيها الشعر للشكر *** وإن لم تطق شكراً فلاكنت من شعر
وجئت بنور الشمس والبدر كي *** أرى بعمّالك نور الشمس يُشرق والبدر

بعبارات يملؤها العرفان والامتنان أتقدم إلى فضيلة

الدكتور: محمد عطية

على قبوله الإشراف على مذكرتنا، فكان لنا الموجه والداعم، فنسأل
الله تعالى أن يفضل عليك بنعمه الجزيلة الكثيرة، وأن يتمم عليك العافية
والستر في الدنيا والآخرة.

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى كل من كان له فضل عليّ
في مشوار حياتنا الدراسية من أساتذة الابتدائي إلى الجامعة.

ومن علمني حرفاً... صرت له عبداً

جعيد + معيوف

لكم جزيل المحبة والتقدير

الإهداء

بداية أشكر الله تعالى على ما تفضل به من هذا الإتياع على إكمال هذه

المذكرة

ثم ثانياً فإنني أتوجه إلى فضيلة المعلم والمربي:

والذي المداني - أم الله عليه نعمة الستر والعافية -

كم لك عليّ من فضائل ومكارم، وكسوتي من كريم السجيا،

وأغدقت علي من نعم العطايا

إلى السيدة المكافحة فضيلة الوالدة - أمد الله في عمرها - .

التي كانت نعم السند والموجه، أدامني الله خادمة لأمرض تطيئها

إلى جدي . . . إلى إختوتي . . .

إلى زميلات الدراسة إلى الأساتذة الأطيب الأكارم

في قسم التاريخ بجامعةتنا

لكم أيها الأفاضل أهدي ثمرة هذا البحث .



فاطمة الزهراء معيوف

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيه الله عز وجل

" واخفظ لهم جناح الذل من الرحمة وقل ربني

ارحمهما كما ربياني صغيرا " صدق الله العظيم،

إلى أمي الغالية، أقرب وأحب الناس إلى قلبي وأجمل ما لدي

في هذا الكون. إلى خير ناصح وخير دليل لي في الدنيا

ذا القلب الواسع أبي العزير أطال الله في عمره

إلى إخوتي وأخواتي كل واحد باسمه

إلى كل من يعرفني من قريب وبعيد

إلى كل من ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلبي





جعيد مسعودة



مقدمة

- تمهيد:

تعرضت الجزائر في بدايات القرن 19 الى غزو فرنسي مباشر للجزائر بذريعة
حادثة المروحة، وقد عرفت الجزائر في هذه الفترة عدة تغيرات طرأت عليها من
السلطات الفرنسية والتي كان من أهمها سياسة الاستيطان والمكاتب العربية ، وكان
لهذه السياسات التي ذكرناه أنفا (المكاتب العربية) صدي كبير في كامل التراب
الجزائري وفي إخضاع الأهالي للسلطات الفرنسية .

وكان هدف الحكومة الفرنسية من كل هذه السياسات وغيرها هو طمس
والقضاء علي الهوية الجزائرية وعلي ثقافته الإسلامية وعلي سلبه كل ما هو جزائري
بكل الوسائل المتاحة

وكانت هاته المكاتب العربية لها كل السلطة وتتمتع بشرعية كاملة في التدخل
في الشأن الجزائري خاصة الاجتماعية منها وتغريم أهلها بغرامات مالية أو سلب ماله
أو أرضه أو مزرعته فقد لاقه هذه المكاتب نجاحا باهر في إخضاع بعض القبائل
والأهالي بل قري كاملة تحت أمة السلطات الفرنسية ، فقد صارت فرنسا تتحكم في
قضاياهم الاجتماعية والأسرية.

-دوافع اختيار الموضوع:

هناك دوافع موضوعية وأخرى ذاتية لموضوعنا هذا لما رأينا لأهميته في وقتنا
الحالي وللتعرف على ما كانت تفعل فرنسا للجزائر للظفر بها وبسلطتها ولمكانتها
الإستراتيجية فهي تعتبر همزة وصل وبوابة إفريقيا .

أسباب الموضوعية:

-إعطاء صورة شاملة لسياسة فرنسا في الجزائر والتي طبقتها في فترات
احتلالها لها.

- التطرق إلى موضوع هام في تاريخ الجزائر المعاصر ولما ألت إليه فترات الاحتلال.

-وجود عدة دراسات في الجزائر ، لكن التطرق إليه بصفة مفصلة ناقصة.

أسباب ذاتية :

الرغبة والميول لها الموضوع لما له من أهمية وخاصة عندما يتعلق الأمر بالجزائر.

-تشجيع الأستاذ المشرف ودعمه لنا من توجيهات ونصائح .

- إعطاء أهمية إلى سياسة فرنسا التي طبقتها بالجزائر لبيتنا للقارئ معرفة جرائم فرنسا .

فصلنا في موضوعنا هذا لأننا وجدنا تحفظ وشحا في بعض الدراسات .

إشكالية البحث :

يتناول موضوعنا اشكالية المكاتب العربية التي طبقة من طرف فرنسا بعد احتلالها للجزائر فالمكاتب العربية هي همزة وصل بين الشعب والمعمرين والسلطات الفرنسية ، ولإحاطة بهذا الموضوع صرحنا بعض التساؤلات التالية :

- ما هو مفهوم المكاتب العربية؟

- كيف نجحت فرنسا في سياستها هذه بالجزائر ومن كان له الدور في هذا؟

- ما هو دور المكاتب العربية في فرض سيطرة وإخضاع الشعب الجزائري ؟

- كيف كان موقف الشعب الجزائري من هذه المكاتب العربية ؟

- المنهج المتبع في البحث:

اعتمدنا في موضوعنا ها عن منهجين لتسهيل وتبسيط للقارئ فهم موضوعنا جيدا وحسب ما سبق تم الاعتماد علي المنهج الوصفي بغية التعرف علي سياسة الفرنسية بالجزائر وسرد الأحداث التاريخية بطريقة كرونولوجية ليسهل للقارئ معرفة هذه السياسة وما آلت إليه الأحداث.

- الخطة المتبعة:

قسمنا بحثا لـ:

مقدمة فصبنا فيها الخطوط العريضة للبحث من الاشكالية و الاطار الزمني و المكاني وغيرها من المراحل المتعارف عليها.

الفصل الأول بعنوان: المكاتب العربية تتركنا فيه لمفهوم المكتب العربي، مهامه، تنظيمه، أعضاؤه وتطوره.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: الاستيطان الفرنسي بالجزائر، تطرقنا فيه لمفهوم الاستيطان ، أسبابه أشكاله وأهدافه ومراحله.

والفصل الثالث كان بعنوان دور المكاتب العربية في سياسة إخضاع الأهالي، تطرقنا في أيضا لـ: الجوانب العسكري و الإداري و الثقافي فالاقتصادي و الاجتماعي و أخيرا عرجنا على نهاية المكاتب العربية.

-نقد المصادر و المراجع:

استعملنا عددا من المصادر والمراجع لانجاز هذا البحث والإلمام ببعض جوانبه المتفرعة عن السياسة الفرنسية التي كانت تختلف من فترة لأخرى ومن أهم المصادر و المراجع نذكر:

-كتاب المرأة، لحمدان بن عثمان خوجة، الذي ينتسب إلى أسرة جزائرية عريقة، وُلد المؤلف عام 1773م، و بحكم مكانة والده الفقيه وخاله الحاج محمد أمين السكة، تكوّن حمدان أفضل تكوين في عصره ومنه برزت شخصيته المؤثرة في الأوساط الجزائرية، إذ يُحسب من أهم شاهدي العيان للأحداث التي عرفتھا الإيالة بداية القرن التاسع عشر، لا سيما منها العلاقات مع فرنسا وأوربا. وقد كانت إستقادتنا منه كبيرة في الفصل الثاني فيما يتعلق بسياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

-كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا، للمؤلف الفرنسي شارل روبرت اجرون، كتاب قيم يدرس وضعية الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، كان خير معين لنا طيلة مراحل البحث، خاصة في الفصل الثالث الذي يوضح فيه الكاتب آثار سياسة فرنسا في الجزائر في كل الميادين.

-كتاب المفتي الجزائري محمد بن العنابي رائد التجديد الإسلامي، للمؤلف المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله، إذ يعد ابن العنابي واحدا من الذي شهدوا احتلال فرنسا للجزائر وكان شاهد عيان رأى وعاش كل ما يرافق أمثال هذا هاالأحداث من تقتيل إجرامي وتعذيب وطرده ونفي وتهديم للممتلكات وانتهاك للحرمات وتدنيس للمقدسات ، خاض مجالات عدة أهمها الإفتاء و القضاء وحمل لواء المقاومة السياسية رافضا الانبطاح الذي مس عددا من الجزائريين. كما وظفنا عددا من المراجع والدوريات.

-الصعوبات المعترضة لانجاز هذا البحث:

أثناء عملية البحث اعترضنا صعوبات مختلفة من أهمها:

- ضيق الوقت الممنوح لنا لانجاز مذكرة البحث.
- ندرة المصادر والمراجع التي تخدم البحث بصفة مباشرة، لاسيما الأجنبية منها.
- عدم قدرتنا على زيارة المكتبات بسبب الوباء.
- صعوبة التنسيق بيننا بسبب الحجر الصحي.

الفصل الأول

المكاتب العربية

مفهوم المكتب العربي ومهامه

تنظيم المكاتب العربية

ضباط المكاتب العربية

تطور المكاتب العربية وموقف المعمرين منها

الفصل الأول: المكاتب العربية

المبحث الأول: مفهوم المكتب العربي ومهامه

يعتبر المكتب العربي هيكل متعدد الصلاحيات له دور قيادي في فض المشاكل اليومية الكثيرة وسرعان ما أصبح ضرورة أكيدة لإدارة البلاد¹ لذلك يجب ضبط مفهومه قبل الخوض في موضوع هاته الدراسة ومن بين التعريفات نذكر:

فرديناند هيكونيت احد رؤساء تلك المكاتب فيقول: (إن المكتب العربي هو همزة وصل بين الجنس الأوربي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ 1930م والجنس الأهلي الذي يقطن البلاد من قبل ولازال....)².

ويعرفه دوما بأنه: (المؤسسة التي يتمثل موضوعها في ضمان التهدئة، تهدئة القبائل بصفة دائمة، وذلك بإدارة عادلة ومنتظمة، وكذلك تهيئة السبل لاستيطاننا، ولتجارتنا عن طريق استتباب الأمن العام، وحماية كل المصالح الشرعية، وزيادة الرخاء لدى الأهالي. وعلى عمال هذه المؤسسة إن يميلوا أكثر فأكثر إلى البحث عن الحل السلمي لكل المشاكل التي كانت تتطلب في أحيان كثيرة استعمال القوة، والعمل للتغلب على جميع العراقل التي يواجهنا بها مجتمع في غاية الاختلاف عن مجتمعنا بعبادته ودينه. وعن طريق دراسة البلاد وتقييم جميع المصالح التي تحرك السكان العرب، سيتوصلون إلى تعيين الاستعمال الأكثر فائدة، والأكثر مناسبة للقوة العسكرية في حالة الانتفاضة، وسيعدون لقمع إيه انتفاضة بالوسائل الأكثر سرعة، وبأقل كلفة. وعليهم أخيرا إجهاد أنفسهم لحمل الأهالي على قبول كل سيطرتنا، والعناصر الحكومية التي يجب عليها تمكينها، بأقل ما يمكن من الكراهية).

¹ - اندري برينان واندري نوشب وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح اسطنبولي منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص323.

² - نفسه، ص325.

كما يعرفه شارل ريشار (ch.richard) و الآخر احد رؤساء هذه المكاتب فيقول: (إن مؤسسة المكتب العربي هي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا قبل إن تكون وسيلة لتعبيرنا)¹

ويصف مارسيل (marcel emerit) هذه المكاتب على أنها: (بصفة عامة عبارة عن دار متواضعة اقتصر فيها بتثية غرفة تكفي لاستقبال الزوار والمشتكين وغرفة امن محصنة ونوافذها بقضبان الحديد وإقفال على مقومات الأمة الجزائرية).²

ويمكن القول إن المكتب العربي هو الوسيلة الأساسية التي ستستعملها الفرنسية لإخضاع الجزائريين والقضاء على مقومات الجزائرية كما يرتكز نظام المكاتب العربية حسب ألكسي دو وطفيل³، على جملة من المبادئ، فالمبدأ الأول ينبغي إن تكون السلطة السياسية التي تعطي الأمور دفعها الأول بيد الفرنسي فيكل مكان لا يمكن إن تعطي مبادرة من هذا النوع في إي مكان لرؤساء الأهالي أما المبدأ الثاني معظم السلطات الثانوية للحكومة، ينبغي إن يقوم بها سكان البلد والمبدأ الثالث يقوم على أساس بحث ضباط المكاتب العربية عن سند تتكى عليه.⁴

وقد انطويت بالمكاتب العربية مهام عديدة بعدما كانت محصورة إلا في النطاق العسكري حيث يقول اجيرون: (مبدئيا كان تنظيم المكاتب العربية يهدف إلى مباشرة مهمة عسكرية محضة، تمثل السياسة والقيادة ركائزها الأساسية....، حملت بمهام عديدة وغير مجدية، تتجسد في إدارة ورقية . لم يعد الأهالي يفهمونها)⁵.
فقد كانت هذه المؤسسة هي إحدى الآليات الأساسية للنظام العسكري في الجزائر، اذا كان الحفاظ والتعزيز من الهيمنة الفرنسية من عمل هذه المكاتب لهذا تعتبر المهمة

¹ - اندري برينان واندري نوشبوا خرون، مرجع سابق، ص 327.

² - عبد الحميد زوزو، الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1939 - 1837، ج1، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 203.

³ - نفسه ، ص 26

⁴ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريون 1830 م 1954م، ترجمة: محمد المعرابي، منشورات الجزائر، 2008 ، ص 194.

⁵ - نفسه، ص 130 - 131

الأساسية لرؤساء هاته المكاتب بصفتهم عسكريين، هي جمع المعلومات التي تخدم الجيش وتساعد على تقوية نفوذه¹

بالإضافة إلى إدارة مصلحة الصباحية والخيالة والعسكر، ومراقبة الإشغال وقيادة فرق القومية وجمع وتوجيه قوافل الحجز² فاندلاع الثورات كثورة سيدي الشيخ وثورة المقراني أدت لضرورة الحصول على معلومات ذات طابع عسكري فكان ضباط المكاتب العربية هم الذين يقومون بذلك وكانوا يرافقون قوات الصباحية والقومية³.

أما فيما يخص المهام السياسية والإدارية لهذه المكاتب فكانت على النحو التالي:

_ تحضير وتنظيم المراسلات والاطلاع على احتجاجات الأهالي.

_ ضبط الإحصائيات والتعرف على المواد الخاضعة للضريبة.

_ شرطة الطرقات والأسواق .

_ إعداد الوثائق التاريخية حول قبائل المقاطعة .

_ إعداد المعلومات الجغرافية والطبوغرافية .

_ إعداد البيانات البيبلوغرافية والمعلومات حول القادة وعائلات الأهالي المنتقدة⁴.

_ مراقبة التعليم العمومي في القبائل والمدارس _ الفرنسية .

_ مراقبة التجمعات الدينية والزوايا⁵.

¹ - صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1971 م، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر ص 194 - 195.

² - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 194 - 195.

³ - عزالدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري ارسنت مرسيه نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف الاستاذ الدكتور مصطفى حداد، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007 - 2008، ص 27.

⁴ - المرجع نفسه ص 26

⁵ - محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص194

وفي حالة ما وجد مدير المكاتب العربية أو احد إتباعها أخطاء أو مخالقات للقانون الفرنسي فإنه باستطاعته اتخاذ الإجراءات والقرارات اللازمة اتجاه صاحب الخطأ .ومع مرور الوقت ازداد نفوذ هذه المكاتب حيث أصبح المسؤولون عنها هم من يعين ويعزل القادة المحليين¹

إن هذه المهام التي انيطت بهذه المؤسسة كلها تعهد إلى تجسيد الرأي القائل بان الجزائر فرنسية فهذه الإدارة التي يرغب بها الجزائريون² ومن اجل تطبيق هذه المهام كان الضباط يقومون بالإجراءات والزيادات للأسواق والأحياء، والتركيز على العمل مع ذوي النفوذ لناس³ ولضمان السير الحسن لهذه المؤسسة فيجب على رئيس المكتب العربي القديم تقرير أهالي القائد الأعلى، وذلك مرة فاليوم على الأقل وتقديم محضر لأربع وعشرين ساعة الأخيرة، مع تقديم المقترحات التي يراها تتلاءم مع الوضع، بالإضافة إلى تسجيل أوامر القائد فهو الذي يضمن سير وتوزيع المهام على جميع الضباط والموظفين في المكتب ويبلغ لهم الأوامر التي يتلقاها ويسهر على تنفيذها⁴.

وما يجب الإشارة إليها المكتب العربي الذي هو وسيلة اتصال بين الجنس الأوربي الجديد في الجزائر، وبين الأهالي صاحب الأرض، هو في حقيقته يعمل لصالح الأول على حساب الثاني منهما فالجزائري لم يأخذ من سوى التسمية.

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 130 - 131

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 194-195

³ - شارل روبير آجبرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1991، ترجمة حاج مسعود، ج1، دار الرائد،

الجزائر 2007م، ص 250 .

⁴ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 194 - 195

المبحث الثاني: تنظيم المكاتب العربية

يعد نظام المكتب العربي الركيزة الأساسية للسياسة العسكرية الفرنسية في الجزائر، والتي تهدف أساساً إلى العمل على إخضاع الأهالي إلى السيطرة الفرنسية ولاشك أن هذه المؤسسة بعدما كانت تشتغل وفق أسلوب تجريبي، لا بد من تنظيمها وتحديد مهامها وصلاحياتها بحيث تصبح هذه المكاتب الوسيلة الأساسية للقضاء على ما بقي من مؤسسات الدولة الجزائرية، فكان تنظيم هذه المؤسسة بطريقة مركزية على النحو التالي:

- السلم الإداري:

يستند التنظيم الإداري للمكاتب العربية، على قيام إدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية بتأسيس إدارات فرعية لها على مستوى المقاطعات الثلاثة الموجودة بالجزائر وفي كل مقاطعة توجد وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الأولى، ووحدات ثانوية من الدرجة الثانية¹.

وقد قدر توماس (إسماعيل) توريان (thomas (ismayl)urbain) هذه المكاتب بوهران بعشرة مكاتب، أربعة منها من الدرجة الأولى أي المنتشرة بالقسمات، وأربعة منها من الدرجة الثانية أي تلك المتواجدة بالدوائر. أما ولاية الجزائر فتضم أيضاً عشرة مكاتب عربية نصفها من الدرجة الأولى ونصفها من الدرجة الثانية. أما قسنطينة فكان بها تسع مكاتب عربية ثلاث منها من الدرجة الأولى وستة من الدرجة الثانية وكل هذه المكاتب مرتبطة بالإدارة المركزية أو المكتب الموجود بالجزائر².

¹ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 130.

² - مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس إسماعيل أوربان 1812 - 1884، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007 - 2008، ص 92.

وحسب تعليمة خاصة من الحاكم العام في سنة 1869م فان مصلحة المكاتب العربية تشتمل على ما يلي:

_المكتب السياسي الذي يركز لدى الحاكم العام جميع قضايا الأهالي (ضابطين ساميين و05نقباء).

_03القيادات الإقليمية: 02ضباط ساميين و 10نقباء و05ملازمين.

_15مكتب دائرة أو ملحقة: 33نقيب، 65ملازم أول، 15ضابط صف، اي ما مجموعة 04ضباط ساميين +77نقباء + 68ملازم +25ملازم أول: 204ضابط.

_إضافة إلى 48 ترجمان عسكري.

ويمكن إن نحدد تنظيم تلك المكاتب على الشكل (01) التالي:



هيكل السلم الإداري لمؤسسة المكاتب العربية الفرنسية بالجزائر¹

وتجدر الإشارة إلى أن المكاتب السياسي يخضع لمراقبة الحاكم العام، والذي له اتصال مباشر بقيادة المقاطعات مع التنسيق بين رؤساء القسامات و رؤساء المكاتب من الدرجة الثانية ومع المكاتب الملحقة².

_الموظفون:

تتشكل المكاتب العربية في كل مقاطعة جزائرية من:

1. مدير .
2. ضابط مسؤل عن الصحة.
3. ضابط مسؤل عن دفع المكافآت .
4. مترجمان
5. ضابط صف
6. خوخة (كاتب عمومي)
7. وكيل الضيافة
8. حاجبان (الأشاوس)³

نلاحظ من خلال مكونات العنصر البشري للمكتب العربي انه يتكون من عسكريين، ومدنيين وموظفين أهالي وفرنسيين ذوي اختصاصات متعددة، وهذا من اجل تسهيل عملية الإخضاع في جميع جوانبه العسكري، الثقافي، الديني والاجتماعي⁴.

¹ - صالح فركوس ،المرجع السابق، ص24.

² - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو و بدايات الاستعمار 1871-1827، ج1، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 567.

³ - R.Peyronnet ,livredor des officiers indigenes 1830-1930, alger,1930, P 34

⁴ - عز الدين بومزو، المرجع السابق، ص19

كان عدد المكاتب العربية سنة 1857م 40 مكتبا، وفي عام 1870 م ارتفع إلى 49 مكتبا، تضم 150 ضابطا عام 1857م و206 ضابطا عام 1866م¹.

وينص المنشور الصادر في مارس 1867م على: أن تشمل القيادة الإقليمية للمكاتب العربية على 12 شخصا، المكاتب العربية في المقاطعات 08 أشخاص ومكاتب الدوائر والملحقات 07 أشخاص أما المكتب السياسي المركزي 16 شخصا².

لم تكن الوظيفة في المكتب العربي سهلة، حيث كانت تطرح الكثير من التجاوزات في الممارسات الميدانية، ولعل ذلك يعود إلى أن مؤسسة المكتب العربي كانت عبارة عن هيئة قائمة بذاتها، حيث تخضع لمراقبة السلطة العليا، كما كانت ترقية موظفيها إلى الرتب العسكرية تتم بسرعة³.

ويرجع سبب ذلك أيضا إلى تدني المستوى التعليمي للموظفين، مما جعل الحاكم العام ماك ماهرون (mac mahon) يلاحظ في مارس 1865م: إن مستويات التجربة والكفاءة لدى ضباط المكاتب العربية لم تعد كما كانت في السابق.

كما يشير في نفس التقرير إلى أن: التوظيف هو اليوم من أصعب المهام، فعوض إن نرى العضويات النخبوية تسارع إلى وضع نفسها رهن هذه الخدمة الخاصة، فان السلطة مضطرة للجوء إلى توجيه نداءات للعموم.

وقد تم تعديل طريقة التوظيف بفضل قرار 05 مارس 1866م: فصار التوظيف مباشرة في فرق مختلفة الأسلحة. غير أن هذه الطريقة لم تفض إلى تحسين مستوى التوظيف.

¹ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية ، المرجع السابق ، ص22

² - شارل روبير أجبرون ، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 - 19، ج 1 ، المرجع السابق ، ص249

³ - A. Rey Goldzeiguer. Le Royaume arabe la politique algérienne de napoléon III 1870

ونظر لصعوبة إخضاع الشعب الجزائري، اثر هذا مسالة اختيار الموظفين من عسكريين ومدنيين وموظفين أهالي لإدارة شؤون الأهالي، فأصبح هذا الاختيار تلقائي، بالإضافة إلى زيادة عدد كبير من العاملين بهذه المؤسسة .

المبحث الثالث: ضباط المكاتب العربية

كان ضباط المكاتب العربية ينتمون إلى مختلف الجيوش، ولاسيما من جيش المشاة. فهم لم يشكلون سلكا نظاميا بل انتدبوا من فيالقهم، وقد ذكر النقيب هيغوني سنة 1858م، إن هناك ستة عشر ضابطا وصلوا إلى رتبة جنرال: الونيفل، بارال، بوسكي، بورباكي، دumas، دوليني، ديفو، ديربو، ديفيفي، هربيلون، لامويسيارو، ماريمونج، مارتمبري، ريفي، ولسن، استرهازي، واستثنى من هذه القائمة بيليسي، الذي واصل مساره المهني في القنصليات بعد أن اضطر إلى مغادرة الجزائر، ونفس الشيء بالنسبة إلى العقيد ديكرو، كما أضاف إلى هذه القائمة شانزي، دافوات هانوتو، لاباسيت، مرغريت، الذي قتل وهو اصغر الضباط. وقد كان الضباط في العادة يتخرجون من مدرستين_مقابل دفع اجر التكوين_وهما المدرسة الملكية العسكرية (سان سير)والمدرسة المتعددة التقنيات، فكان هؤلاء الضباط خريجو هاته المدرستين يتعلمون حرفتهم في صفوف الجيش¹ .

ولذلك قام بعض الضباط الذين رفضوا التحجر في الحياة العسكرية، بتعلم اللغة العربية التي تمكنهم من الاتصال بالجزائريين حيث كانوا يرغبون في تعميم تعلم اللغة العربية والاستغناء عن المترجمين².

بعد سنة 1863م زاد تدني المستوى التعليمي للموظفين مما جعل الحاكم العام ماك ماهون (mac mahon) يصرح في 11مارس 1865م(إن مستويات التجربة والكفاءة، لدى ضباط

¹ - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 509-510.

² - المرجع نفسه، ص522

المكاتب العربية، لم تعد كما كانت عليه في السابق) وهذا ما أدى لصعوبة التوظيف في هذه المكاتب فيضيف قائلاً: (إن التوظيف اليوم من أصعب المهام. فعوض أن نرى العضويات النخبوية تسارع إلى وضع نفسها رهن هذه الخدمة الخاصة فان السلطة مضطرة للجوء إلى توجيه نداءات للعموم)¹.

فالموظف في المكتب العربي مطالب بالاتصال مع الأهالي ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم مع القدرة على التأثير فيهم، بالإضافة إلى وجوب الاطلاع على إسرارهم لاستغلال ذلك في الوقت المناسب².

ويمكن التمييز بين فترتين إلى غاية سنة 1863م، وهي السنة التي تبدأ منها الفترة الثانية للمكاتب العربية تميز بعض ضباطها بسلامة الضمير، حيث اظهروا كثيرا من اللباقة جعلتهم يردون على شكاوي المواطنين بعد التحقيق فيها كما أنهم وضعوا حدا لمشاكل الثار والمنازعات بخصوص الأراضي والينابيع، والقضايا المتعلقة بالحدود الترابية، ونذكر في هذا الشأن تنقل النقيب مارميري (marmiera) إلى قبائل أولاد سلطان في إطار تحقيق بشأن القايد سي علي بن الحسن، الذي اشتكى منه أولاد سلطان، وقد عوقب ذلك الموظف بشطب اسمه من قوائم القيادة أثناء تغييرات سنة 1863م³.

وقد كان لضباط المكاتب العربية نفوذ كبير جدا وصلاحيات واسعة، حيث يعتبر من سنحت له فرصة قيادة احد المكاتب العربية بالملك وهذا ما عبر عنه الكولونيل بن (pein) الذي حكم نيابة مقاطعة باتنة من 1859م إلى 1863م: (إنا بدوري كنت ملكا وكنت أتمتع بحرية لأحد لها لان كبريات القبائل من فرسان الحاضنة والقبائل الرحل من أولاد نايل لا تعترف

¹ - شارل روبيير آجيرون، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919 ج1 ، المرجع السابق ، ص 252 .

² - عبد القادر خليفي ، المرجع السابق ، ص19

³ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ، ص 199-200

بقائد غيري ولا تطيع سواي) ويشير أيضا إلى انه كان أكثر حرية وسعادة عندما كان قائدا لمكتب عربي فيقول: (كانت اسعد أيام حياتي)¹.

وماتميز به ضباط المكاتب العربية أن معظمهم كتابا أنجزوا دراسات حادة في مجالات التاريخ و السوسيولوجي والطبوغرافية والإحصائيات وفي الآثار .ومن هؤلاء الضباط الذين ينطبق عليهم هذا القول نجد بيليسي (pelissier) (1794م_1864م) وخاصة عمله حول الشرق الجزائري تثبت هذه الحوليات إن مقاطعة قسنطينة يمكن أن تصبح مركزا لمستعمرة مزدهرة تحقق اكتفاءها الذاتي، وفي الوقت نفسه بإمكانها أن تزيد من تجارة البلاد².

وقد كان بيليسي متشددا في مجال الخدمة ومتصلبا في القيادة، وكان الموظفون الخاضعون له يعترفون له بقدراته المهنية وروحه الساخرة، ولكنهم كانوا يعيبوا عليه بلا جماع خشنته الكبيرة التي جعلت منه شخصا يستحال التفاهم معه³. ولما عجز موظفوه على فهم شخصيته فقالوا فيه: (انه يتميز باسمي أوصاف القائد الشخصية، تلك الشخصية التي تلقى إلى درجة ثانوية، بجميع القدرات الأخرى، وحتى العلوم العسكرية)⁴

ومن المعروف أن حسن سير المكتب العربي مرهون بكفاءة القادة، فكان نقيب بواسونيمن أحسن ضباط تلك المصلحة، فقد كان شخصا ذكيا تحصل بكل سهولة على معارف جيدة حول الحياة في الجزائر وتمكن جيدا من اللغة والشعر العربي كما انه وفق في استخدام موظفين من عرب قسنطينة فهو الذي خطط لصالح العنترى كتابه عن تاريخ بايا قسنطينة وأشار عليه بكتابة مذكرة عن أحوالها الاقتصادية، كما انه أشار على الحاج احمد بن المبارك بكتابة تاريخ قسنطينة، وقد كان هو المسئول المباشر على تعيين القضاة والمدرسين

¹ - المرجع نفسه، ص204

² - عز الدين بوموز، المرجع السابق، ص29

³ - شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص706

⁴ - المرجع نفسه، ص 558

و الأئمة ومنهم الملكي بن بأديس وابن المبارك والشيخ البوطالي، بالإضافة إلى توليه الشاذلي منصب المالكي¹.

كان النقيب بواسوني قد أسس شهرته في المحيط القسنطيني حيث كان يلقب بوسنة (رجل السنة)، هذه الشهرة كانت بنفس الدرجة التي عرف بها في الأوساط الفرنسية، حيث كان حريصا على التوفيق بين الحضارة العربية والحضارة الأوروبية قصد تحقيق التقارب بين المسلمين والمسيحيين².

كما اشتهر ضابط مكتب بكسرة (GAILLARD ST GERMAIN) بحفره للآبار التي تضمن الرخاء للصحراء، كما قام بتعميم زراعة القطن والليمون والبرتقال. وقام بتنظيم محطة الأرصاد الجوية التي أنشئت في بداية عهد الاحتلال الفرنسي، كما اشتهر بدبلوماسيته حيث قال عنه PEYRONNET انه: (كان يقدر قادة الأهالي حق قدرتهم ويحقق أغراضها بالأسلوب الدبلوماسي أو بأسلوب القوة على السواء)³.

وتميز ديفيفي DUVIVIER 1794_ 1848م يجب الاطلاع واتساع ثقافته، واهتم بحياة الأهالي في قالمه، كما اهتم بعلم الآثار والحفريات وجمع النقوش النادرة وقد كان يلبس ثياب العرب ويتكلم لغتهم بطلاقته، يتحدث عنه احد موظفيه فيقول: (لم أر منذ عملت في الجيش ضابطا ساميا أكثر منه صعوبة في المراس وإزعاجا في العلاقات) فقد كان عسكريا باسلا.

ومن بين الضباط نذكر ارنستمرسييه MERCIER MERCIER الذي كان يشغل وظيفة المترجم العسكري، عين على رأس المكتب العربي بسبب وعلى الحدود المغربية، وفي عام

¹ - ابو القاسم سعد الله ، محمد الشاذلي القسنطيني(1877- 1807) دراسة من خلال رسائله و شعره ،الجزائر

1914م ، ص 45

² - المرجع نفسه ، ص65

³ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ، ص197

1866م عين كمترجم عسكري في تنس ثم أرسل لي الحروشاين عين كذلك كمترجم قضائي.

وفي عام 1870م شارك ارنست مرسييه في إخماد ثورة المقراني وقاد كتيبتين من الميليشا، ولم يكتفي بالمشاركة في هذه الانتفاضة بالعمل العسكري بل تعداه إلى الكتابة عنها وهذا مظهر من مظاهر تميزه.

وقد قام ارنست مرسيه بانجازات إدارية سمح له منصبه بتطبيقها، حيث في أكتوبر 1898م بتشكيل بورصة العمل LA BOURSE DU TRAVAIL لتخليص العمال من استغلال مكاتب التشغيل لهم.

ولم تكن انجازاته منحصرة في ميدان عمله فقد تعدت إلى الميدان الطبي، ففي 17 مايو 1897م أسس مصلحة المساعدة الطبية، حيث كلفه الأطباء بتسليم ايصالات الدواء، الحليب، المواد الغذائية الأساسية إلى العائلات المعوزة¹.

أما في المجال الثقافي فقد ترك إنتاجا عزيزا في ميدان الكتابة والتأليف يتمثل في عشرات المقالات والكتف كان أول مقال نشره في المجلة الإفريقية وعمره 23 سنة، وقد كانت تلك المجلة الوسيلة الوحيدة في مجال النشر حتى سنة 1868م، حينها بدأ يكتب مقالاته في الحوليات الأثرية لمدينة قسنطينة .

وفي عام 1874م نشر أعماله لدى ناشرين خواص والتي كانت عبارة عن كتب عرض فيها أفكاره حوا تعريب شمال إفريقيا، وقد تناول كتاب مرسييه شتى المواضيع التي كانت تطرح في ذلك الوقت عن المسائل الجزائرية، حول القانون الإسلامي، الوقف، الملكية العقارية

¹ - عز الدين بوموز، المرجع السابق، ص35 - 36

وإدارة الأهالي وأحوالهم الشخصية وحقوقهم السياسية وعن الآثار والقوانين المطروحة للمناقشة، كذلك المواضيع التاريخية والاثنوغرافية¹.

من هنا نرى انارتست مرسية تمكن خلال مسيرته الطويلة كأحد عناصر المكتب العربي من في الأعمال العسكرية بالإضافة إلى البحث والكتابة في جميع مجالات المعرفة.

من بين الضباط أيضا نجد دينفو (deneuve) والذي تولى تسير المكتب العربي بمدينة باتنة عام 1846م، بعدها انتقل في مايو 1848م إلى إدارة الشؤون العربية لمقاطعة قسنطينة، ثم بين سنتي 1855م-1858م أصبح على رأس المكتب السياسي .

كان من بين الضباط الفاعلين جدا حيث استطاع مساعدة فرنسا كثيرا في تدعيم الاستيطان، وذلك نتيجة لمعرفة العميقة واطلاعه الواسع بعادات وتقاليده الشعب الجزائري، وعلاقاته الكثيرة برجال الدين . هذا ما يتضح فيه كتابه (الإخوان . الطرق الدينية عند مسلمي القطر الجزائري)².

وقد كان ماري مونغ (marey_monge)(1796_1863) المتخرج من المدرسة المتعددة التقنيات، من الضباط الأكثر حركية في الجزائر، حيث انه في وقت وجيز أصبح يتقن اللغة العربية و(يتبنى الأوصاف المحلية، من لحية ومظهر وحركات وزى) فقد استطاع أن يفهم إلى حد بعيد نفسية الأهالي وحاجاتهم³ .

ونذكر أيضا فردينا هيغونيت الذي رفض التدخل الفرنسي في شؤون الأهالي، حيث كان يبحث عن وسائل أفضل من أجل إقامة علاقات جيدة مع هؤلاء السكان . كما انه كان يرفض وبشدة فكرة 'أنا الغالبون' حيث قال: (لقد رمينا الأهالي بحجر هؤلاء البؤساء الذين

¹ - المرجع نفسه، ص 37 - 38

² - R.Peyronnet, op-cit, p 255-256

³ - شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 599

لاذنب لهم .فهل لنا الحق في ذلك ؟...)¹ ، وكما قال في نفس الموضوع (إن مثل هذه الأمة التي تبدي خصال الإخوة في علاقتها....والمحافظة على عهودها في أقص الظروف، لايمكن أبدا الاستحقاق بها أو احتقارها) كان هذا النقيب قد شغل منصب رئيس المكتب العربي للقالة عام 1848م، وفي سنة 1858م اخرج كتابة 'ذكريات مكتب عربي'².

ومن بين الضباط ايضا الكونيلهربيلون (herbillon) الذي كان أول من حكم نيابة مقاطعة باتنة بعد تأسيسها في 01فيفري 1847م، بعد أن حكم دائرة باتنة منذ 1844م برتبة قائد أعلى، وقد تكفل هذا الضابط بإخضاع دائرة باتنة وتنظيم شؤونها فقام بإرسال أولى محاولات الاستيطان، وفي سنة 1848م تمت ترقيته إلى رتبة جنرال وتقلد وظيفة حاكم على مقاطعة قسنطينة³.

ونذكر أيضا الاموريسيار الذي عكف على دراسة العربية الدراجة، وتمكن من استعمالها بسهولة ومن كتابتها بعض الشيء، كما درس عادات الأهالي وتقاليدهم، وقد تحدث عنه دوطوكفيل فقال: (انه رجل ذو مساوى عديدة وعيوب كبيرة، أضع على رأسها طموحا بلا ضوابط ولا موازين و احتقار لأحد له لحياة الرجال، وشخصية عنيدة متحيزة لأرائها .ولكنه يعرف البلاد معرفة واسعة ويملك إرادة فولاذية ويتميز بنشاط متواصل .وله معرفة واسعة في بعض المجالات رغم ذهنيته الغربية الناقصة، انه يحب إفريقيا ويعتبر لها مواطنة ويرى نفسه فيها، لقد كان الضابط الوحيد الذي أيد فعلا الاستعمار والمعمرين وفهم إن المجتمع المدني لا يمكن حكمه بالحسام فقط، ولكنه لا يؤمن بذرة واحدة من الليبرالية، ويقوده عقله إلى حين لا يأخذه ذوقه أبدا)⁴.

¹ – F.Hugonnet,Souvenires d'un chef de bureau arabe,op,cit P, 68-69

² – Idem, p80

³ – عبد الحميد زوزو،المرجع السابق ،ص198

⁴ – شارل أندريجوليان ، المرجع السابق ، ص552-553

ومن بين الضباط الفاعلين أيضا نجد دوما (Daumas) والذي له عدة مؤلفات منها صحراء القطر الجزائري، دراسات جغرافية وإحصائية وتاريخية _حول منطقة الجنوب _ للمؤسسات الاستعمارية بالقطر الجزائري (باريس 1855م، 33ص)، عادات وتقاليد القطر الجزائري، التل القبائلي، الصحراء (باريس 1855، 100ص).

ونذكر كذلك شارلريشارد والذي قام بدراسة حول ثورة الظهرة (1845_1846)، وكذا ربح التشريع الإسلامي، وكتاب حكومة العرب والإدارة التي يمكن أن تسيروها¹ كان هؤلاء بعض الضباط الذين حكموا المكاتب العربية والذي اجتهدوا في تعلم اللغة العربية و دراسة عادات وتقاليد الأهالي والتعرف على البلاد من اجل تسهيل عملية الإخضاع التي كانت الهدف الأساسي لهؤلاء الضباط.

المبحث الرابع: تطور المكاتب العربية وموقف المعمرين منها.

قام رجال الاستيطان الأوروبي بضغوط كبيرة على الحكومة الفرنسية لإجبارها على اتخاذ قرارات لصالحهم وخاصة بالنسبة للبلديات ذات الحكم المدني أو ذات الحكم العسكري، فالمستوطنون الأوروبيون لم يكونوا يسيطرون على أكثر من 69 بلدية سنة 1869م، وبالتالي لم يكن في إمكانهم التسرب إلى المناطق الشاسعة التي توجد بها خيرات الجزائر والشخصيات الجزائرية المتعاونة مع قيادة الجيش هي التي بقيت تحكم الريف الجزائري، وبما أن البلديات ذات الحكم المختلط تتشكل من الضباط والشخصيات الجزائرية التي يتم تعيينها من طرف الإدارة العسكرية، فإن المستوطنين الأوروبيين لا يحصلون على الضرائب العربية حيث أنها تبقى في البلديات الخاضعة للجيش والتي تتكون من 8 إلى 12 عضوا. ولهذا طالبوا ونجحوا في تحقيق أهدافهم وهي إلغاء المكاتب العربية وتحويل سلطاتها وصلاحياتها إلى رؤساء البلديات المدنيين، وهذا التوجه للسياسة الاستيطانية الجديدة في الجزائر برز إلى

¹ - صالح فركوس، المرجع نفسه ، ص2

الوجود بفضل المرسوم الصادر في 8 أوت 1868 م الذي ألغى المكاتب العربية في الولايات.¹

وما ساعد على إلغاء هذه المكاتب، اغتنام المعمرين فرصة اغتيال 27 جزائريا في قافلة تحت تصرف المكاتب العربية بواد محليوش بمقربة من الحدود التونسية، حيث وقع قتلهم من طرف العسكريين أنفسهم، وكانت الحكومة الفرنسية قد أكدت أن اغتيالهم كان عن خطأ لأنهم في الحقيقة كانوا يدعموا مؤسسة المكاتب العربية².

كان ضباط هذه المؤسسة محل اهتمام دائم من طرف المعمرين، من ذلك أنهم كانوا يعملون على أم الزيادة من ثورتهم على حساب الأهالي، ومنها أيضا اتهام تلك المكاتب على أنها كانت تشجع على اندلاع الثورات المحلية حتى تظهر في الميدان بمظهر المنتصر³. فقد ذكر جول فافر بأن أحداث أولاد سيدي الشيخ كان سببها التصرف الطائش لرئيس المكتب العربي، وأن المكاتب العربية نظام فاسد، وقد أكد بأن إقامة النظام المدني هو المنقذ للمستعمرة. ولكي يدعم كلامه بالحجة أكد بأن المنطقة العسكرية لا يسود فيها إلا الجوع، والفقر، والاستبداد، والتعصب⁴.

وفي هذا السياق اعتقد المعمرون أن ثورة 1871 م، إنما هي من افتعال ضباط المكاتب العربية، بعد سقوط الإمبراطورية الثانية، حتى يثبتوا لحكومتهم أنه بدونهم ستظل الجزائر في ثورة وحرب ولقد قيل عنهم: « أنهم كانوا يبحثون عن الفوضى بشن الغارات على القبائل دون أي مبرر، وذلك من أجل الترقية» .

وقد أوردت إحدى الصحف الفرنسية يوم 25 مارس 1871 م قولها: « لقد تحالفت المكاتب العربية مع الزعماء الأهالي للدفاع، بالطرق الشرعية وغير الشرعية، عن امتيازاتهم ونفوذهم ومستثمراتهم، فلا هم فرنسيون ولا هم عرب وإنما هم تشكيلة سياسية»⁵.

¹ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 177

² - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 400

³ - شارل روبير أجبرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1919، ج 1، المرجع السابق، ص 43

⁴ - يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد عام 1871 م، المرجع السابق، ص 3.

⁵ - شارل روبير أجبرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1919 - 1871، ج 1، المرجع السابق، ص - 44

ولقد ازدادت حدة الاتهام وتحميل مسؤولية كل ما يقع في القطر الجزائري إلى تلك المؤسسة نحو محاكمتها وإبعادها مرة واحدة على الساحة، خاصة بعد إعلان جمهورية سبتمبر عام 1870م،¹ ونتيجة لضغوط المعمرين على حكومة الدفاع الوطني في تور صدرت قرارات 24 أكتوبر 1870 م، والتي كان عددها ثمانية وخمسين قرارا، منها ستة وثلاثون قرارا تخص الجزائر، وتتص على ثلاثة أشياء رئيسية هي:

أولاً: إلغاء النظام العسكري في كل إقليم التل، وتحويل رؤساء الأهالي إلى معاونين بلديين، وإلغاء سلطة المكاتب العربية، والسياسية التقليدية للأهالي، وتحميل ضباطها مسؤولية كل ما يحدث من اضطرابات وتشويش في مناطقهم السابقة.

ثانياً: إنشاء محاكم الجنايات وإخضاع الجزائريين المسلمين لها.

ثالثاً: تجنيس يهود الجزائر البالغ عددهم حوالي ثلاثة وثلاثين ألفا بصورة جماعية².

وكان لهذه القرارات تأثير سيئ على الجزائريين الذين راو فيها خطرا على مستقبلهم ومصيرهم، ونظرا لحالة القلق والخوف هذه، وكذا الشك الذي أصاب الجزائريين بسبب هذه الإجراءات، جاء نداء كريمير³ إلى الجزائريين في 14 جانفي 1871 م.

ثم جاء يوم 10 نوفمبر 1870 م المرسوم الذي جعل من الأراضي الخاضعة للحكم العسكري تابعة لسلطات الولاية⁴.

وبعد ذلك جاء مرسوم 24 ديسمبر، والذي قلب التدرج السلمي للمكاتب العربية والسياسية

التقليدية المناوئة للنزعة الوطنية التي كان هذا التدرج السلمي يهدف إلى الإبقاء عليها.

وصرح هذا المرسوم: (بان الضباط الذين يديرون هذه المكاتب لن تكون لهم السلطة شخصيا

وتمنع عليهم كل مراسلة رسمية خارج القادة الإداريين، حيث يجب إن يوافق المحافظ غير

العادي على تعيينهم وله أن يراقب من ثم كل المستخدمين الإداريين، المدنيين منهم

والعسكريين)

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص412

² - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص195

³ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص771

⁴ - نفسه، ص177

كما نص على إلغاء المكتب السياسي العربي واسند جزء من اختصاصه إلى السلطة المدنية العليا¹.

كما أمر بالإجابة الآلية إلى مجلس الحرب، في حالة حدوث اضطرابات، كل ضباط وزعماء المكاتب العربية وأعاونهم في أي مركز مع إلزامهم (لتبرير ما ابدلوا من جهود في سبيل الاحتياط ضد وقوع التمرد ولتقديم الدليل على ما اتخذوا من تدابير لمنع انتشارها)، فكان هذا النص يقبل بكل الاتهامات التي يوجهها المعمرون، وكان ذلك بمثابة فضح حقيقي لهيئة المكاتب العربية انعكس على الجيش برمته. هذا ما دفع بأغلب ضباط هذه الهيئة إلى تقديم استقالتهم بعد اطلاعهم على هذا المرسوم، لولا أن دعاهم الجنرال لأمان إلى التراجع عن هذه الاستقالة الجماعية².

وفي 30 ديسمبر جاء مرسوم آخر، نص على إنشاء منصب مفتش عام للأقاليم العسكرية يختاره وزير الداخلية من بين الموظفين المدنيين الذين يتقنون العربية والذين تتمثل وظائفهم في التنقل بين قبائل العمالة وتفقدتها وتفتيشها، والاستماع للشكاوى وجمع كل الملاحظات المفيدة ومعاينة وضعية واحتياجات الإقليم العسكري³.

وفي يوم أول جانفي 1871م أسست في كل عمالة وظيفة حارس إداري عام للمنطقة العسكرية وبمقتضى هذا القرار عين روستان حارسا إداريا في عمالة قسنطينة ابتداء من يوم 03 فيفري 1871م⁴. كان إنشاء هذين المنصبين قد وجه ضربة جديدة للاحتكار المنتظم للمكاتب العربية كما قامت حكومة الدفاع الوطني بتوجيه ضربة أخرى لهذه المؤسسة بموجب مرسوم 06 فيفري 1871م والذي نص على أن الضباط القائمين بإدارة الأقاليم العسكرية وكذا رؤساء المكاتب العربية ومساعدتهم سيعينون في مختلف المناصب التي من شأنهم أن يشغلوها من قبل وزير الداخلية بناء على اقتراح من الجنرال القائم بالإدارة وبعد اخذ رأي الوالي أو الولاية المفوضين، ولم يصبح للجيش منذ ذلك الوقت دور اقتراح الضباط المنتدبين من الحرب على السلطة المدنية لإدارة الأقاليم العسكرية⁵.

¹ - صالح ، فركوس: المرجع السابق ،ص412

² - شارل روبيير اجيرون ،الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871_1919، ج1، المرجع السابق ،ص45

³ - شارل اندري جوليان ،المرجع السابق،ص780

⁴ - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ،المرجع السابق ،ص198

⁵ - شارل اندري جوليان ،المرجع السابق ،ص781

اعتبر هذا القرار آخر ضربة لهيئة المكاتب العربية، ولكن تبعه قرارا خر، يوم 16 فيفري نص على وضع إدارة المناطق والرؤساء العسكريين تحت سلطة عمال العاملات . وبذلك ربح المعمرون جزءا من أهدافهم، وبقي أمر الاستيلاء على أراضي العرش، والقبائل إلغاء الملكية الشخصية التقليدية للأهلي وتم ذلك بصدور قانون الملكية العقارية يوم 26 جويلية 1873م¹.

كان الجنرال شانزي chanzzy هو آخر حاكم عسكري ينتمي إلى الجيش والى المكاتب العربية (حكم الجزائر من 1873 لغاية 1879) ففي عهده تم توسيع رقعة الأراضي الخاضعة للحكم المدني إذا بلغت 416، 53م في سنة 1879م، كما ارتفع في عهده عدد البلديات التي يحكمها الاوروبيون من 126 بلدية مدنية في سنة 1873 إلى 176 بلدية في سنة 1879م، وفي يوم 06 مارس 1891م نطق جيل فيري بجملته معبرة عن تغير الأوضاع لصالح المستوطنين الأوروبيين حيث قال: (في عهد الامبروطورية كنا نحكم الجزائر عن طريق العرب، وبعد سقوطها ومنذ 1871م إلى غاية 1883م قمنا بتسييرها عن طريق الاستيطان...والاستيطان جاء عن طريق تجريد العرب من الملكية) وعندما استلم المستوطنون البلديات من المكاتب العربية التابعة للجيش، ارتفعت الضرائب العربية بمعدل 17 مرة عن تلك التي كانت تجمعها المكاتب العربية².

وقد أجمعت الصحافة والنوادي، ولجان الدفاع، على السلطة العسكرية هي التي كانت في كل الظروف والفترات تحمي الجزائريين، وتمنع الأوروبيين من اخذ أراضيهم تطبيقا لقرار السيناتور سكون سلت الصادر يوم 22 ابريل 1863م، وهذا طالب الجميع بترحيل كل الضباط³.

فقد كانت معظم عناوين الصحف الفرنسية تدور حول حلقة واحدة وهي انه (لا مناص إطلاقا من كسر شوكة السلطة العسكرية). وذلك لأنها توصلت إلى قناعة مفادها (من المستحيل نكران أن الانتفاضات التي حدثت، بالدرجة محصلة نظام المكاتب العربية).

¹ - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص 198

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 177_178

³ - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص 199

كما كتب المستوطن بيزي (Bezy) من اجل زيادة الفتنة والتحريض في كتاب له يحمل عنوان (حقيقة نظام الحكم العسكري في الجزائر) حيث كتب: (في حالة اندلاع أي حركة عصيان فما عليكم إلا أن تستخرجوا عن طريق القرعة، عشرة من ضباط المكاتب العربية وتقديمهم أمام مجلس الحلفين وان تنتظروا النتيجة اضمن لكم أنها ستكون نتيجة جيدة)¹.

ونتيجة لهذه الكتابات الصحفية جاءت دعوى تسمى بالمكاتب العربية في شهر نوفمبر 1871م رفعها الجنرال وولف قائد ناحية الجزائر العاصمة ضد هذه الصحف وذلك من الدفاع عن ضباط المكاتب العربية². فردد قائلاً: (أما التهم الموجهة ضد الضباط المكلفين بإدارة الشؤون العربية، بدعوى إثارة العرب ضد المستوطنين، فهذا بهتان مبين وحيلة لن تنطلي على أي رجل نزيه)³.

لقد كان الحوار الذي دار في المحاكمة، قد جعل من ضباط المكاتب العربية والجنرال وولف متهمين، حيث حكم على هذا الجنرال في النهاية بدفع الرسوم القضائية. وكانت تلك المحاكمة السياسة التي أرادها معمرو القطر الجزائري، من اجل انتصار أحقادهم ضد القوات العسكرية بالجزائر، وكذا من اجل تحقيق تصوراتهم حول مستقبل القطر الجزائري.

بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة مع بداية عام - 1872م وذلك بصدر جملة من المراسيم المتتالية تستهدف تعميم النظام المدني في الأقاليم العسكرية، وجعلها تابعة لإدارة البلديات والدوائر والولايات والمحاكم الفرنسية وإخضاع الجزائريين لمزيد من أنواع الظلم والقهر والإبادة⁴.

وفي يوم 15 مارس 1879م جاء البيروقراطي (allertGeeVy) كحاكم عام مدني، وكان أول قرار له منح الحكم المطلق للأوروبيين في الجزائر بحيث يشعرون وكأنهم في بلدهم فرنسا.

1- شارل روبيير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871_1919، ج1، المرجع السابق ص45

2- صالح فركوس، المرجع السابق، ص413

3- شارل روبيير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871_1919، ج1، المرجع السابق، ص46

4 صالح فركوس، المرجع السابق، ص414.

وتحقيقاً لرغبات المستوطنين الأوروبيين جاء مرسوم 26 أوت 1881م، الذي يجعل جميع المصالح الإدارية في الجزائر ملحقة بباريس. ولهذا أصبح دور الحاكم العام شكلي حيث يقوم بنقل الأوامر من باريس إلى الجزائر، ويتابع الاستيطان والشرطة والعدالة، والتعليم الخاص بالمسلمين، ولهذا قال جيل فيري بان: (الحاكم العام ما هو إلا مفتش للاستيطان في قصر ملك كسول)¹.

لكن هذا التطور في الاستيطان والقهر بفضل المراسيم كان دافعا قويا للشعب الجزائري كي يستقيض فيه الشعور الوطني وتتبلور حركته وشخصيته الوطنية والإسلامية لتفجير ثورة نوفمبر 1954م.

1-عمار بوحوش، المرجع السابق، ص178.

الفصل الثاني

الاستيطان الفرنسي بالجزائر

مفهوم الاستيطان.

أسباب الاستيطان .

أشكال وأهداف الاستيطان

مراحل الاستيطان

الفصل الثاني: الاستيطان الفرنسي بالجزائر

المبحث الأول: مفهوم الاستيطان

ينبغي إدراك تصور المستعمر للاستيطان حتى يتسنى لنا معرفة طبيعة التواجد الفرنسي بالجزائر، وذلك من خلال مكاتبة مفكروه، فقد حاول منظورا الاستعمار وضع مفاهيم أو تحديد قواعد لمفهوم الاستيطان.

فقد عرف على انه انتقال مجموعة بشرية من مكان إلى آخر، وهذا نتيجة لثورة صناعية اجتاحت أوروبا وهو مصطلح حديث الاستعمال، يعتبر من الأساليب الاستعمارية، يعتمد على توطين اكبر عدد ممكن من الفرنسيين والأوربيين بالجزائر لإخضاعها إلى اخطر أنواع الاستعمال الحديث.¹

وقد وافقت حركة الاستيطان هذه المناقشات الفكرية، وظهرت نظريات متعددة حول المناطق الأصلح للاستيطان، وقد ظهرت تبريرات كثيرة للاحتلال الاستيطاني فنجد ان المدرسة الفرنسية مثلا سعى الكثير من مفكريها لإيجاد تفسيرات ضرورية وقانونية للاستيطان بهدف إيجاد الأرضية الخصبة والملائمة للاحتلال الاجنبي.²

والاستيطان حسب المدرسة الفرنسية، هو امتلاك الأرض والثروات التي فوقها أو في باطنها وذلك للإهمال الذي يعانيه السطح أو لأنه يستغل بطريقة لا تحقق منفعة كبيرة، ويظهر المستوطن على انه مستثمر يسعى لتحقيق تلك المنفعة، فقد جاء أما ليعمر تلك المناطق أو ليكون وسيط بين الأهالي المزارعين والأسواق العالمية، وتعدد نشاطاته في القطاعات الاقتصادية الثلاث، لا تعطيه صفة الاستيطان، ولا يحمل صفة المعمر أو المستوطن إلا عندما يتحول إلى أداة لتحقيق السياسة الاستعمارية ويصبح شريك في إدارة المستوطنة.³

¹ - محمد حسن، الاستعمار الفرنسي، ط4، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، 1968، ص80.

² - عبد الوهاب بن الخليفة، الوجيز في تاريخ الجزائر، ط2، دار بني مزغنة، الجزائر، 2006، ص32.

³ - سحنون سعيداني، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو وردة فعل المقاومة 1830-1930، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2007، ص54.

أما مفهوم المستعمرة تعني في المصطلح الأوروبي، ممتلكات الوطن لأجزاء منه، وحسب المدرسة الفرنسية هي المناطق التي يهاجر اللاوريون إليها، ويمارسون عليها نشاطاتهم الاقتصادية المختلفة مع الاحتفاظ بصلتهم بالوطن الأم، أما الممتلكات هي المناطق التي تتعرض للاحتلال ويعيش عليها سكان غير منسجمين مع المستعمر، وفرنسا ليس لها مستعمرات ولكن لها ممتلكات حصلت عليها بالقوة.

ان الاستعمار الاستيطاني في الأصل لا يختلف عن الاستعمار القديم أو التقليدي، بل هو نموذج آخر في الاستبداد والغزو والاحتلال، كما ان هناك ارتباط وثيق بين الظاهرتين، ويتجلى ذلك في تاريخ تكوين المستعمرات الاستيطانية، حيث كان احد دوافع الاستعمار التقليدي الذي تبنته فرنسا صراحة عكس بريطانيا التي لم تستطع ان تجارها فيه، ويرجع ذلك إلى ان الكيانات الاستيطانية الأوروبية قد تطورت لتصبح أهم الأدوات التي يعتمد عليها استمرار النظام الاستعماري¹

فالاستيطان شديد الصلة بالاستعمار، وهو مرحلة مoolية له وممثل حده الأقصى ولا يتم الاستيطان إلا في بيئة ومناخ استعماري يشرف عليه ويرعاه وهو ينهب الأرض ويملكها² والاستيطان من أقدم أشكال الاستعمار، إذ تتوافر في هذه المستعمرات نسب كبيرة من المستعمرين بسبب الهجرة من البلد الأم إلى البلد المستعمر لاستغلال ثروات هذه المستعمرات و الإقامة فيها³ وسياسة الاستيطان عبارة عن كتلة اجتماعية واحدة متكاملة لغويا وثقافيا ودينيا، وهو عصب الحياة الاقتصادية والسياسية والإدارية في الجزائر⁴

¹ - شوقي الجميل، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص147.

² - يحيى محمد نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص23.

³ - الطيب بن براهيم، الاستشراف الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص157.

⁴ - المرجع نفسه ص 160.

فهي تعتبر في مجالها الاقتصادي الإنسان نفسه سوقا ينبغي ان يسلب بالعمل لصالح المستعمر، لذلك كان يسخر الإنسان للعمل الشاق بالأجر الزهيد حتى يظل الإنسان منتج يجب ان يسلب من كل مقاوماته الفكرية و الإنسانية.¹

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر تجريبه خاصة وأسلوب مميزا بغض النظر على انه يقوم على العسكرية ويستند إلى سياسة الاستيطانية تهدف إلى تغيير المعطيات البشرية والقيم الحضارية فان هذا الاستعمار من حيث منهجه وطرقه يشكل ظاهره فريده بل نموذجا خاصا يتمثل في تعامل قوه أوروبية مع كيان آخر يتناقض معه في التوجهات ويختلف عنه في القيم الحضارية مما يجعل المشروع الاستعماري في الجزائر بمثابة مخبر الأول لتطبيق الأساليب والإجراءات هدفها إلغاء الوجود التاريخي وتحطيم البنية الاجتماعية²

الاستعمار الفرنسي كان اغرب واعنف أنواع الاستعمار فلقد قال لأحدهم بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار الأوروبي فشبه البلد المستعمر بشجره طويلة مثمره يأتيها الاستعمار الانجليزي فيقطع ثمارها أما الاستعمار الفرنسي فيقطع الشجرة من جذعها ثمار المستعمر وحصول على ثرواته المختلفة واستغلالها حيث ذكر إبراهيمي في تعريفه للاستعمار الفرنسي: « ان الاستعمار الفرنسي يعمل على قتل المعنويات وتخدير الإحساسات الروحية و مباشر وسائله بالحقد و يبشرها معاني الانتقام»³.

إذا في الاستيطان جزء لا يتجزأ من الاستعمار أي انه ممكن لهذه الظاهرة فهو يمثل وسيلة أساسيه لحل المشاكل التي تواجهها دول الجراءة عدم تمكنها من إرضاء الاحتياجات للمجتمع الأوروبي فهو تعبير عن قوه توسعية للشعب ما وهو قوته في التكاثر وامتداده وتصاعده في المحيط⁴ ومن هنا يمكن القول ان الاستيطان فرع من فروع الظاهرة

1- فرحات عباس، ليل الاستعمار، دط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص114.

2- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وفاق، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت 2000، ص19.

3- عبد القادر خليفي، سياسته التنصير بالجزائر، مجله المصادر، العدد تسعه، 2004 ص 145.

4- نوره بو زيدة، الاستعمار والاباده، دار الرائد للكتاب، دط، 2007، الجزائر، ص 167.

الاستعمارية أساسا من المصالح الاقتصادية ولاستراتيجية الاعتبارية و يندرج في إطار المحاولات التي تستهدف السيطرة العالمية للحضارة الغربية¹

المبحث الثاني: أسباب الاستيطان الفرنسي في الجزائر:

لهذه الاعتبارات ليست هناك حاجة للحديث عن أسباب ودوافع تفسير نشأة الاستعمار الاستيطاني بمعزل عن تلك الأسباب والدوافع التي تفسر نشأة الاستعمار التقليدي وهذا الأخير توفرت على دراستها أبحاث عديدة متعمقة وبمواضيع مختلفة قد سبقت تفريق بين مجموعه الأسباب الاستعمارية باعتبارها تفسير نشأة أنماط أخرى من الكائنات الاستيطانية عن غير الاستعمارية.

وعليه في الاستعمار الاستيطاني يصدر أساسا عن مسار الاقتصادية والاعتبارات الاستراتيجية ويندوز في إطار المحاولات التي تستهدف تحقيق السيطرة العالمية للحضارة الغربية ولهذا لا يصلح تجزئه هذا الظاهرة عن طريق تفسيرها من منظور الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي تميز بها الواقع الأوروبي خلال القرن 19 بصفه خاصة كما لا يصح إدراج مختلف الحركات الاستيطانية تحت نفس مجموعه من الأسباب العامة.²

من بين الأسباب والدوافع التي أدت بالهجرة الأوروبية إلى الجزائر وإيجاد مكان واسع لفرض السكان نتيجة الانفجار الديمغرافي الذي شهدته مما أدى إلى تضاعف الهجرة الأوروبية عامه والفرنسية بصفه خاصة بداية القرن التاسع عشر تغيرات اقتصاديه والاجتماعية والسياسية والمواكبة للثورة الصناعية فالهجرة علاقة بنجاح البرجوزيه التي أسست انظمه سياسيه واقتصاديه في أوروبا، الأمر الذي أدى بها إلى البحث عن مواطن نفوذ الاستيطان بها واستغلال خيرات هذه البلاد وجعل هذا البلد سوق خارجية لتصريف منتجاتها³

¹ عبد العزيز العشماوي، الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة عام 1967، مذكره لنيل الماجستير، قسم التاريخ جامعه الجزائر، 1989، ص 26.

² جورج جيبور، الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني، المجلة المصرية، العدد 27، مصر، 1971، ص 181.

³ بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2004، ص 150.

كان شمال إفريقيا و خاصة الجزائر من أهم البلدان التي يمكن الاستقامة فيها فتعد سنة 1038 بداية قويه للاستيطان الاوروبيه في الجزائر حيث كانت هجره أوروبيه متنوعة فمن هي الدائمة ومنها المؤقتة وبذلك ظهر المستوطنين إلى جانب المواطنين.

انطلق التوسع الاستيطاني الذي كانت توسع عسكري مثلما كان توسع مدني من فكره ان الأراضي غير أوروبيه تعد مناطق خاليه من الحرارة بالإضافة إلى الفراغ النسبي الذي كانت تتسم به البلدان المغرب العربي إلا ان الفرنسيين حرصوا على استحواد على أفضل الأراضي التي كانت للأهالي¹.

وان فرنسا ادعت بان الجزائر تعتبر من ممتلكات فرنسا تحت إشراف وزاره الحربية الفرنسية وعلى هذا الأساس بدا تدفق المعمرين بعدد هائل إلى الاستيطان بالجزائر والاستحواد على أخصب أراضيها وبذلك شهدت الجزائر تزايد إعداد هائلة في كل سنة بالمستوطنين من مختلف بلدان أوروبا².

وكان وراء تنفيذ هذه السياسة الاستيطانية مدارس كثيرة منها المدرسة الألمانية التي ظهرت أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن 19 والتي اعتمدت على مبرر المجال الحيوي والذي مفاده تزايد سكان بأوروبا عامه وألمانيا خاصة.

¹ - عميراي حميدا، من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص71.

² - الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر خلفيات وابعاد، دط، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص192.

مبحث الثالث: أشكال الاستيطان وأهدافه.

1_ / أشكال الاستيطان الفرنسي في الجزائر:

1-1_ الاستيطان العسكري:

بما ان فرنسا كانت ترى بان الاستيطان مهمة عسكريه، فقد اخذ التشجيع العسكريين على الاستمرار في الجزائر وإنشاء المستوطنات حيث يقول بيجو¹ "بما ان الجيش هو كل شيء في إفريقيا فالسلطة الوحيدة الممكنة هي السلطة العسكرية، وتعتمد هذه السلطة على المعمرين وهم جنود مزارعون في نفس الوقت....، يعتمد على الجيش الذي يكاد يتعادل في حاله الحرب والسلم² وترتكز خطط بيجو في الاستيطان على ثلاث قواعد أساسية:

1- تشكيل لجنة من كبار القادة العسكريين الذين حاربوا في شمال إفريقيا، يكلفون بتحديد المناطق لإستراتيجية للاستيطان (من حيث جوده الأراضي وتأمين هذه المناطق).

2- ثم يأتي دور لجنة مدنيه مؤلفه من خبراء زراعيين ومزارعين كبار، تتاط إليهم مهمة تحديد أماكن تثبيت القرى الاستيطانية مع الأخذ بعين الاعتبار توفر مصادر المياه والصحة العامة.

3- في هذه المرحلة يأتي دور الطبوغرافيين لوضع القرى الاستيطانية وذلك بعد المصادرة سواء بالقوة أو بحجه القيام بإعمال ذات مصلحه عامه...؟

وهكذا يظهر ان الجنرال بيجو كانا يركز على فكره الجندي المزارع، تبعاً لأسلوب الرومان بحيث ركز على العسكري الذي خاض المعارك وساهم في بناء المراكز الاستيطانية³، وكان يرى في الاستيطان جزء لا يتجزأ من العمل العسكري بل مرتبطة به، وان العمل العسكري

¹ - بيجو: ولد في 1784، أرسل إلى الجزائر 1836 في مهمه مزدوجه: محاربه الامية وفرض السلم معه، حكم في الجزائر 1840/12/29 إلى 1847/06/29 سلك خلال سنوات حكمه سياسه العنف والقهر والعباده والتدمير في اطار حرب الشامله تمارسها تجاه الجزائريين المزيد انظر: بن داهة عدة الاستيطان والصراع ...، ج2، المرجع السابق، ص490.

² - مصطفى الاشرف، الجزائر الامه والمجتمع، ترجمه حنفي بن عيسى، دار القصبه، الجزائر، 2007، ص300.

³ - علي عبود، الاستيطان والصراع حول ملكيه الارض 1830 / 1899 القطاع الوهراني نموذجا، رساله ماجستير في تاريخ المعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعه وهران 2013 / 2014. صفحه 53 - 54

إنما يكون بالتوسع خارج مدينه الجزائر والمناطق الساحلية كخطوه للاستيلاء على مزيد من الأراضي الصالحة للزراعة.¹

ففي سنة 1841 شرعت في تطبيق هذه الفكرة واتخذت إجراءات في الجيش لإنشاء مراكز التعمير العسكري تعليمات وسط الجنود منها ما يلي:

جنود الذين أدوا سنتين أو ثلاث في الخدمة العسكرية والراغبين في ان يصبحوا معمرين يمكنهم الاستفاده من ذلك حالا، أين تمنحهم الدولة كل الوسائل الضرورية للانطلاق في حياه جديدة.²

أما المحاولة الثانية التي شرعت الإدارة الاستعمارية في تطبيقها فكانت سنة 1842، حيث قامت بتشغيل بعض قواعد الاستيطان العسكري فأخذت بعين الاعتبار الفشل الأول وقررت إنشاء مزارع وقرى جماعية ان يعمل العسكر لمدته ثلاث سنوات، بصفه جماعية مشتركة، لكن بعد سنه من التجربة طلب البعض إنهاء العمل المشترك، ولم تتجح هذه الأخيرة نسبيا وهكذا لم تحقق تجربته في المجال الاستطالة العسكري غايتها من البداية تقريبا.

أما الشيء الذي نجحت فيه السلطات الاستعمارية فهو استخدام الجيش في بناء المستوطنات وفي استصلاح الأراضي، وبناء المساكن وشق الطرق وحفر الآبار فتهافت ذلك عدد من المستوطنين الأوروبيين الجدد قدروا بعشرات الآلاف إلى جانب العسكريين.

1-2_ الاستيطان المدني:

بمناسبة وصول الجنرال ييجوا إلى الجزائر يوم 22 / 2 / 1841 أكد في ندائه الموجه إلى سكان مدينه الجزائر ان الغزوة بدون الاستيطان سيكون عميقا كما سبق ان صرح أمام مجلس النواب في 16 جانفي 1840.. "أنا بحاجة إلى دهاء من المعمرين الفرنسيين والأوروبيين.."³

¹ - الغالي غربي، المرجع السابق، ص194.

² - بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص217.

³ - فرحات عباس، المرجع السابق، ص45.

وقد شرع الجنرال بيجو في تنفيذ وتوسيع المشروع الاستيطاني، حيث دعا بقوه الفرنسيين والأوروبيين للهجرة باتجاه الجزائر أين سيجدون فرصا أوفر للعيش وتحقيق النجاح حيث منح للمستوطنين حق الإقامة في مختلف مناطق الجزائر، فارتكز الاستعمار الفرنسي منذ المراحل الأولى على الاستيطان المدني لدعم الاستيطان العسكري، وإيجاد دخيل على الشعب الجزائري ويكون حليفا لوجود العسكري، حيث أدركت فرنسا ان لا وجد لها في الجزائر بدون مستوطنين مدنيين وفرنسيين وأوروبيين يدعمون جيش الاحتلال¹ بدا هذا النوع من الاستيطان يأخذ شكلا أكثر حده وتصعيدا في هجره الفرنسيين إلى الجزائر في السبعينيات من القرن 19 ميلادي حيث أصبحت خطه الاستطانة مدروسة وجماعية برفقه تشريعات فرنسية لحماية المدنيين والمستوطنين ودعمهم.²

2/_أهداف الاستيطان الفرنسي في الجزائر.

يعد الاستيطان العمل القاعدي للاستعمار وربطه بالمصلحة العليا للبلد الذي استعمر هذه المناطق، فليفرنسا مصلحة كبيرة بالجزائر واعتبرتها الحل الوحيد للمشاكل اللامنتهية التي كانت تتخبط فيها فرنسا، كان السكان الذين قدموا من أوروبا أي المستوطنين يشكلون قوه اقتصاديه وبشرية في سياسة الاستيطان، التي هي هدف استراتيجي في سياسة فرنسا فقامت فرنسا بتوفير كل رغبات المستوطنين بهدف النجاح سياستها في هذا الميدان إلا ان هذه السياسة كانت ابعده من ذلك فقد كانت تهدف إلى سلب ونهب الهوية الوطنية³ يمكن تصنيف الأهداف التي أدت إلى الهجرة المستوطنين من أوروبا إلى ثلاث أصناف: أهداف دينية طائفية وأهداف اقتصادية وأخرى تبشيرية مرتبطة بالرسالة تحضيريته يرد على هذا الاتجاه عده تحفظات فمن الناحية الأولى ينطوي هذا الاتجاه على الخلط ما بين الهجرات الاستيطانية كحقيقة اجتماعيه والهجرات الاستيطانية كحقيقة سياسية ومن ناحية ثانيه ينطوي هذا الاتجاه على نوع من الخلط بين العوامل التي تحرك الهجرات الاستيطانية

¹ - الغالي غربي، المرجع السابق، ص 189.

² - عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي دراسته تاريخيه مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 23.

³ - خلف التميمي، المرجع نفسه، ص 23.

أي مركب الدوافع الحوافز المبررات التي قد تساق لإطفاء طابع من الشرعية على عمليه الاستعمارية¹ وقد صنفنا هذه الأهداف كالتالي في مجموعه من النقاط:

2-1_ الأهداف الاجتماعية:

إننا بحاجة إلى جحا في دهاء من المعمرين الفرنسيين والأوروبيين ولكي نجلبهم فمن اللازم عليكم ان تعطوهم أراضي خصبه ايضا وجدتم أراضي خصبه ومياها متدفقة انزل بها المعمرين ولا يهتمكم أمر أربابها²

تحت هذا شعار هاجم المستوطنون الأوروبيون على الجزائر وبتلك الأفكار انتشروا فوقها وبدا غرس الأوروبيون في كل مكان وذلك لاستيلاء الكل على البلاد وتغيير الشعب بالشعب ايضا نرى الاستيطان أهدافا وأغراضا شتى منها:

1- اجتثاث سكان الأصليين من أراضيهم والاستيلاء عليها³ لتجعل من إحاق الجزائر إدماجا شرعيا بنزع الأراضي وإخفائها لقوانين تجعل منهم اقلية يغمرها الأوروبيون وفي هذا الصدر قال الدكتور بود يوشون في كتابه خواطر عن الجزائر 1945 لا يهم ان تخرق في سياستها الاستعمارية المقاييس الأخلاقية وقيمها ولكن الذي يهنا قبل كل شيء هو تأسيس مستعمره نملكها بصفه نهائيه⁴

2- تامين النهب الاستعماري والتوسع فيه بتحميل المستوطنين قسما من أعضاء الدفاع⁵

3 - تدمير الصمود المعنوي للشعب الجزائري

4 - استخدام الاستيطان كعادات للتخلص من العمال التائرين والعاطلين والمشاغبين والمجرمين والخارجين عن القانون تنقيه في فرنسا نفسها سنة 1848.

¹ شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 130.

² من كلمات جنرال بيجو يوم 16 جانفي 1840 امام البرلمان الفرنسي

³ الطيب بن ابراهيم، المرجع السابق، ص 160.

⁴ فرحات عباس، مرجع سابق، ص 43.

⁵ بسام العسلي، المقاومة الجزائرية والاستعمار الفرنسي 1830 1833، دار النقاش، بيروت، 1980، ص 164 .

5 - تعظيم الهجرة الاوروبية من اجل الاختلاط الأجناس البشرية¹.

6 - اتساع الهوى الاجتماعية بين المستوطنين والجزائريين لخلق طبقتين مختلفتين القطاعيين رجال أعمال وخماسين مزارعين الشعب الجزائري.

7 - تدعيم التواجد العسكري بمستوطنين مدنيين أوروبيين.

2-2_ الأهداف الاقتصادية:

تبقى الجزائر في المخططات الاستعمارية بلدا فلاحية من اجل عدم مضايقه الصناعة الفرنسية فتوفر لها بذلك سوق لتصريف منتوجاتها ومصادر للمواد الأولية. ويمكن تلخيص الأهداف الاقتصادية من إقامة المستوطنين بالجزائر في النقاط التالية:

1 - تزويد الإدارة الفرنسية بمختلف الموظفين والإطارات والكفاءات الفنية في جميع المجالات لتهيئه أرضية جديدة من شأنها ان تساهم في نمو الاقتصاد الفرنسي وهذا بواسطة استغلال إمكانيات وثروات البلد الجديد.

2 - أمال مستوطنين الأوروبيين هم الذين يشرفون بالكفاءة الفنية على تحضير المواد الاولية لتصديرها إلى فرنسا أو أوروبا من جهة ومن جهة أخرى يلعبون دور الوسيط بين منتجات الصناعة الفرنسية الحديثة والصناعات التقليدية واليدوية الجزائرية.

3 - المستوطنين بالسوق الأوروبية باستطاعتهم وحدهم فهم وتغيير بنيه أهداف الزراعة الجزائرية من اجل هدم السوق الفرنسية.

4 - بإمكان المستوطنين الأوروبيين تحقيق التقسيم العمل اليدوي الاستعماري².

¹ - عميراوي احميده، قضايا مختصره في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 11.

² - صالح عباد، المعمرون والسياسة في الجزائر 1870 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص

5 - جعل المستعمر الأوروبي والفرنسي مصدر للموارد الأولية مع حرمان الشعب الجزائري من تطوير قدرات.

6 - جعل الأرض القاعدة المادية والشرعية لهم¹.

2-3_ الأهداف الثقافية:

في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر عامله السلطات الاستيطانية على استهداف الجانب الثقافي وذلك بالقضاء على روافد الثقافة العربية بالجزائر فدعت في دورها على تمدين ونشر رسالتها الحضرية في تفكير والسلوك فقد جرت في الغالبية الحالات محاوله للسطر أهداف تحت راية التبشير والحضارة بلغت كان تبشير في حقيقته نوعا من التنشئة الاستعمارية على طريقه عالميه سواء عن طريق نقل الدين المستعمرة أو لغة أو ثقافة أو قيمه وتقاليد أو نظم و مؤسسات حتى تثبت دعائم السيطرة والاستغلال على الأساس الاجتماعي وطيد يتكفل بدوام الاستمرار والاستقرار فضلا عن كونه غطاء لعملية الاستغلال² كما قال جورج هاري ان أحسن وسيله لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلها أكثر ولاء وإخلاصا في خدمتنا لمشاريعنا هو ان نقيم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وذلك ليتأثر بعباداتنا وتقاليدنا³ لذلك انتهجت فرنسا سياسة الاستيطان من خلال إعطاء هذا الجانب حيزا خاصا من اجل:

- 1 إيجاد مجتمع مستوطن من الأوروبيين في منطقته يكون له تأثير ثقافي⁴
- 2 محاربه اللغة العربية وذلك بالقضاء على معاهد الثقافية التقليدية.
- 3 غرق المجتمع الجزائري في دوامه الجهل والأمية من ما يسهل أحكام سيطرته وتقويه نفوذ المستعمرين.

¹ - عميراي احميده، قضايا مختصره في تاريخ الجزائر الحديث، ص 232-233.

² - عامر بن فرحات، المرجع السابق، ص 12.

³ - احمد طالبي الإبراهيمي، من تصفيه الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمه عيسى حنفي، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 16.

⁴ - خلف التميمي، المرجع السابق، ص 25.

4 -رفع نسبه ألاميه بالجزائر وذلك عن طريق غ لق المدارس ونفي العلماء وحرمانه من المساجد والزوايا ¹.

5- الزيادة من اتساع حركة التبشيرية المسيحية ونشر الثقافة الغربية كما تذكر خديجة قطاس تقرير قدمه الملك شارل العاشر يوم 11 أكتوبر 1827 عن أماله في تنصير الجزائر " في المستقبل ان نكون سعداء ونحن نمدين الأهالي ونجعلهم مسيحيين" ².

6- محاوله المستوطنين الأوروبيين التحقيق عن الشباب المهمش الأكثر عرضه للعذاب من ثقل الفقر والمشاكل لكشف عن سرهم والعرض عليهم المسيحية كدين مخلص من هذه المشاكل ³.

المبحث الرابع: مراحل السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر.

1/ السياسة الاستيطانية الفرنسية خلال فترة الحكم العسكري (1830 1870):

لم يلتزم الجيش الفرنسي بمعاهدة التسليم التي ابرمت بين الداى حسين ⁴ والمارشال دي بورمون ⁵، يوم 5جويلية 1830، بل ضرب بهذه المعاهدة عرض الحائط ولم يكن العسكريون الفرنسيون وحدهم الذين كانوا وراء التحريض على اباده السكان الاصليين من الجزائريين، فقاموا بالاستيلاء على كل ما وجدوه، واعتبروه غنيمه حرب وابعادوا المدينة للنهب والاعتصاب، فاستولوا على الخزينة والاملاك واغتصبوا القصور والدور، كل هذا لتمكين فرنسا من احتلال الجزائر ارضا وشعبا واحلال الاوروبيين محلهم، كانها ارض بلا شعب،

¹- ابو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1996، ص 208.

²- نادية طرشون، الهجره الاوروييه نحو المشرق العربي، ط1، وزاره المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 171.

³- خديجه بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسيه في الجزائر 1830 1871، جامعه سعد دحلب، الجزائر، 1992، ص 18.

⁴- الداى حسين، هو الداى حسين بن حسين (1838.1765)حكم الجزائر فيما بين 1830.1818م وهو اخر داياتها، بعد توقيعه على وثيقة التسليم هجر وعائلته الى الاسكندرية بمصر، انظر، بسام العسلي، لمرجع السابق، ص 67.

⁵- دي بورمون وهو الكونت لويس دي بورمون (1846.1743م) مارشال فرنسي، قائد في الجيش النابليوني، في 1815 تخلى عن بونابرت، والتحق بلويس 18، صار وزيرا للحربية سنة 1829، وهو من قاد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، خاض معركة ستوالي (19 و1830.24)، وقع معاهدة الاستسلام مع الداى حسين (1830.07.05) في الجزائر العاصمة، اظر، المرجع السابق، ص 67.

فباشروا السيطرة على اهم المدن ووطنوا فيها الاوروبيين مع تنظيمهم للهجرات المتتالية من الاوروبيين .

1-1_ الاستيطان دعامة لتكريس الاستعمار (1830 1848):

المرحلة الاولى بداية المحاولات الاستيطانية الأولى وآراء الفرنسيين فيها (1830.1840):

فالبرجوازية الفرنسية كان حلمها الوحيد ان تجعل من الجزائر اقليما فرنسيا تعمره بالفرنسيين، وقد لخص السيد بريفو بارا دول هذه الفكرة في كتابة فرنسا الجديدة قائلا: لنا حظ لا مزيد عنه من حظ، له اسم اخرى ان يزداد انتشارا وتسير بذكره الركبان في فرنسا، وهذا الحظ هو الجزائر ...، اضع الى ذلك ان هذا البلد قريب من فرنسا، فقد وضع اهمية ثروات الجزائر وبين الصعوبات التي تواجههم في هذه الارض اولها العنصر العربي وكذلك تردداتهم المتتالية في اختيار نظام حكم واقترح لذلك حلين الا وهما هناك خطتان: خطة منافية للانسانية وللرشد السياسي وهي اباده العرب او اقصائهم من بلادهم وخطة اخرى منافية للاولى وهي ان نضحي بمصالح المعمرين الشرعية ...¹

ونتيجة المشاكل الاجتماعية التي كانت تعاني منها فرنسا، اقترح استعماري اخر بان تسوى المشاكل الاجتماعية القائمة في فرنسا باستعمار الجزائر فقال: نزع الملكية من يد الاهالي هو الشرط الاساسي الذي لامناص منه لاستيطان الفرنسيين، وهذه الفكرة خامرت عقل اجتماعي اخر هو شارل فوريي، يجب ان نبعث هناك جحافل الاوروبيين، ان في استطاعة فرنسا ان تبعث دون ان تنهك قواها او ترهق نفسها اربعة ملايين نسمة، ثم تبعث أوروبا ما تبقى².

كما شجعت الكثير من الشخصيات العسكرية والمدنية هذه السياسة، وربطوا الاحتلال بالاستيطان، فالاستيطان بلا احتلال سيكون عمل غير مكتمل في نظر المفكر الفرنسي

¹ - فرحات عباس، المرجع السابق، ص42.

² - المرجع نفسه ص 44

توكفيل¹، ويظهر هذا في قوله: إذا تركنا العرب لأنفسهم، وتركناهم يتشكلون في قوة منتظمة في مؤخرتنا، فلا مستقبل إطلاقاً لمبادرتنا في إفريقيا.

ووضح قائلاً سيطره الكامله والاستطاله الجزئي هو النتيجة التي اعتقد القيام بها الى ان تظهر استحاله بلوغها اما من بين الشخصيات العسكريه نجد الجنرال كلوزيل بارتران² فهو من بين المتحمسين لسياسه الاستيطان لانه كان متشبعا بافكار القرن الثامن عشر وعاش في امريكا وشهد هناك تجارب ناجحه وتوهم ان تلك التجارب ستجح في الجزائر³ لم يكن يتصور هذا البلد نظاما اخر غير النظام الشمولي وكان واثقا ان الاله ستحل محل ساندوميغ بمنتجاتها الاستوائيه فاصدر مرسوما من 8 سبتمبر 1830 القاضي امينه والكرagle وضمها الى الاملاك الدوله تحت اسم الدوميين⁴ لم تقف الاطلاع عند هذا الاحد بل توجهت الى الاوقاف التي هي بمثابة خط الاحمر عند الاهالي الجزائريين باعتبار الشريعة الاسلاميه تحرم بيع اراضي الحبوس⁵ هذا ما جعل الجنرال كلوزيل يتراجع عن قرار الاستيلاء على اوقاف مكه والمدينه قرار ليس بصفه نهائيه بل بصفه مؤقتة لكن الاداره الاستعماريه وضعت نصب عينياها هذه الاملاك لضمها الى اراضي الدوميين فبعد ثلاثه اشهر من اصدار القرار اصدر كوزين قرارا اخر يوم

¹ - طوكفيل، هوالكسي دو طوكفيل وهو احد كبار المنظرين الفرنسيين المحدثين، مؤرخ وعالم اجتماع ورجل سياسي معروف ولد سنة 1805 وتوفي سنة 1859، انتخب عضوا في الجمعية الفرنسية من 1839 الى 1849 ووزيرا للخارجية فرنسا فيما بعد، وكان من الموافقين ومن دعاة الاستيطان فيما بعد، قام بزيارة للجزائر سنة 1841 وكلف بدراسة استعمار الجزائر، من اهم نصوصه، عن الاستعمار في الجزائر، رسالة عن الجزائر، عمل عن الجزائر والنص الاخير يوميات رحلته.

² - كلوزيل: 12 ديسمبر 1772 بفرنسا تولى عده وظائف في الجيش والسفارة الفرنسيه في اسبانيا وقياده الجيش في سان دومونيك حكم عليه بالموت عسكريا سنة 1816 ثم اعفي عنه بعد اربع سنوات تولى القيادة بدل هرمون سنة 1830 اصبح مارسيال فرنسا سنة 1831 مره اخرى في الجزائر سنة 1835 وعزل منها بعد فشله في حمله قسنطينه انظر ابو القاسم سعد الله، الحركه الوطنيه الجزائريه، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992، ص36.

³ - يحيى بوعزيز، سياسه التسلط الاستعماري والحركه الوطنيه الجزائريه، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص7.

⁴ - ادومين الدوله: أي الاموال العقاريه والمنقوله التي تملكها الدوله والمؤسسات والهيئات العامه ملكيه عامه او خاصه التي تتكون من اراضي البايك الوقف والمصادرات ينظر محمد الصغير بعلي يسرا ابو علاء، الماليه العامه، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص54.

⁵ - ابراهيم مياسي، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، الجزائر، 2001، ص115.

7 ديسمبر 1830 استوديو هذه الاملاك الدينيه الى مصلحه املاك الدوله¹
 فتيات فرنسا تجاه الجزائر اتجهت الى فرنسة سكان عن طريق جلب اعداد كبيره من
 الاوروبيين فاتخذت فرنسا ارض الجزائر ميدانا لتجاريها الاستعماريه وهذا لتحويل الجزائر الى
 مستعمره فرنسيه² وفي عهد الجنرال بيرترين³ الذي خلف كلوزيل شجع الاستعمار الفرنسي
 للجزائر خاصه في ضواحي مدينه الجزائر اضافه انه لم يرد تعمير النتيجة الا بعد القيام
 بتجفيف المنطقه لكنهم استمروا في التدفق حتى وصل عددهم في مارس 1831 الى 529
 مدنيا كانوا يضاربون في الارض ثم خلفه الدوق دي روفيقو⁴ الذي ارى من الضروره بقاء
 المستوطنين الاوروبيين في الجزائر وتوزيع اراضي الاهالي عليهم ولتسهيل عمليه الاستعمار
 عن طريق الاستيطان اصدرت سلطات الاحتلال قرارات تعجيزيه فنص احد قرارات سولت⁵
 واهم ما جاء فيه الزام الاهالي الذين يمتلكون اراضي بتقديم سنداتهم يوم 24 و 25
 سبتمبر على الساعه السابعه ونصف صباحا واعتبار المتاخر عن هذا الموعد ليس بصاحب
 الملك وسحب الملك منه.

نتيجة هذه القوانين التعسفيه المشجعه على الهجره الاوروبيه وخاصه الهجره الفرنسيه نحو
 ارض الجزائر ونظرا لتماشي سياسه الاستيطان والاحتلال فقد شهدت الجزائر هجره استيطانيه
 كثيفه من مختلف انحاء اوروبا لا نمه ولا ضمير لهم وقد بلغ عددهم عام 1832 نحو 25

¹ - خديجة بقطاش المرجع السابق ص23

² - ابراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، غرناطة النشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص121.

³ - بيرترين ولد بفاندارك بفرنسا يوم 24ماي 1778 شركه في معركة واترلو جاء الى الجزائر يوم 20 فيفري 1831 يتولى منصب حاكم عام خلفا للجنرال كلوزيل الى انه عازل عن منصبه في منتصف ديسمبر من نصف السنه بن باها عده،
 الاستيطان والصراع، ج2، المرجع السابق، ص490.

⁴ - دي روفيقو ولد سنه 1774 بفرنسا اكتسب خبره عسكريه في الحروب النابولييه تلقى الى رتبه جنرال وعين قائد عام في
 الجزائر 28 ديسمبر 1831 ابتسم عهده بالقمع وارتكب عده جرائم في حق الشعب الا انه عزل يوم 8 مارس 1833 بسبب
 مرضه اصابه وتوفي يوم 20 جوان 1847 ببباريس انظر بن داها عده ، المرجع السابق، ص492.

⁵ - سولت مارشال فرنسا من مواليد 1769 1851 كان له دور حاسم في معركة اوسترايتر واكتسب شهرة في اسبانيا وفي
 اليوم معركة تولوز 1814 وزيرا للحريه الخارجيه في عهد لويس فيليب وقد عرف بنزعتة الاستعماريه وكان له دور كبير في
 الاستعمار الفرنسي ضد الجزائر انظر ابو قاسم سعد الله، الحركة الوطنييه الجزائريه، ج1، المرجع السابق، ص37.

الف معمر¹ وفي مدينة الجزائر لوحدها وصل العدد الى 5341 نسمة من مختلف الاجناس الاوروبيه² ففي الوقت التي كانت فيه الحكومه والرأي العام الفرنسي يعارضن فكره الاستيطان الرسمي³ نزلت بمدينة الجزائر سنة 1831 عائلات المانيه وسويسريه⁴ والاقحام الدوله الفرنسيه في تدعيم عمليه الاستيطان قام الجنرال كلوزيل بمحاولة مع التجار والفلاحين الفرنسيين باقناعهم بالقدوم الى الجزائر وزرع العنب والاستيلاء على الارض واستثمارها وبهذا تجد الحكومه الفرنسيه نفسها مضطره لاحتلال الجزائر وتقديم المساعده الماليه للمستوطنين الاوروبيين والفرنسيين ولهذا قام باصدار قرارات في الاشهر الاولى من الاحتلال تنص على تسليم الاراضي للمعمرين ومنه تكون فرنسا نجحت في استعمار الجزائر كليا⁵

ومن هنا انتقلت المهمه الى وسائل الاعلام الفرنسيه الرسميه فقاموا بتوزيع المناشير والكتابات والاعلانات في الصحف وعلى لسان الادباء في الترويج ان الجزائر قريبه من فرنسا ومناخها شبيهه بمناخ فرنسا⁶ وبعد نجاح هذه الدعايه وتسابق الطامعين على الهجره نحو هذه البلاد الغنيه بخيراتها انشأت اول مستوطنه اوروبيه في منطقه بوفاريك سنة

¹ - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل الاحتلال الى غايه الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ص330.

² - سعد الله ابو القاسم الحركه الوطنيه الجزائريه ج1 المرجع السابق ص69.

³ - الاستيطان الرسمي ونعني به اشراف الدوله على عمليات الاستيلاء والاستحواذ على الاراضي وتقديمها مجانا للمهاجرين الذين تعمل على تشجيعهم من اجل القدوم الى الجزائر انظر يحيوي رحيم، دراسه مستقبلية الاستيطان والتوطين

الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركه الصهيونيه في فلسطين، منشورات جامعه باجي مختار عنابه 2006 ص22.

⁴ - عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكيه الارض بان الاحتلال الفرنسي 1830 1962، ج1، ط خاصه، وزاره المجاهدين، 2008، ص108.

⁵ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من بداية وغيه 1962، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997، ص103

⁶ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ج1، مرجع سابق، ص131.

1835م¹ وشرشال وكذلك على بعد 8 كيلومترات من الحراش حيث توجد اراضي البايك² وهكذا ساهمت الدولة كثيرا في تشجيع الاستيطان في اول محاولات الاستيطان الرسمي تعود الى سنة 1834 وبصدر مرسوم 22 جولية 1834 الذي الحق الجزائر في فرنسا وشجع الهجره وارسى قواعد التنظيم السياسي والاداري لممتلكاتها في الجزائر هذا القانون يؤكد رغبه فرنسا في استيطان الجزائر واعتمدت نواتها الاولى على بناء القرى والمراكز وا ستصلاح الاراضي من طرف العسكريين لعب دوره الكبير في تجهيز مدنيين وهذا لخلق مجتمع محارب ومزارع في ان واحد من خلال جمع العمل العسكري الى العمل الزراعي³

المرحله الثانيه التجارب الاستيطانيه خلال العشريه الثانيه من الاحتلال 1840 1848

لقد شهدت هذه الفتره زياده في نسبه المهاجرين خاصه في مقاطعه الجزائر وهذا ما يبينه الجدول التالي

السنوات	1844	1845	1846
عدد السكان في مقاطعة الجزائر	53140	66945	75075

وترجع اسباب تطور عدد المعمرين الى الجنرال بيجو فانها فتره حكمه على صعيد الاستيطان الرسمي الاكثر اشعاا وقد صرح امام البرلمان الفرنسي في نفسه السنه قائلا اينما وجدت المياه الصالحه والاراضي الخصبه يجب اقامه المعمرين بدون استفسار من اصحاب الاراضي هذه....⁴ وشرح نيته الاستيطانيه قائلا.. اني لم اجد وسيله افضل من مصادر الاراضي الزراعيه⁵ وكذلك الى مجموعه المراسيم الصادره منذ عهديه الى غايه 1848 فقد صمم بيجو على استعمار الجزائر بالبندقية والمحراث حسب اريه حيث قام

¹ رايح الونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 1989، ج1، دار المعرفه، الجزائر، 2006، ص71.

² اراضي البايك هي الاراضي الخصبه المحيطة بالمدن حيث توجد حاميات الجند وكانت عباره عن املاك الدوله تحت حكم الاتراك وقد تحولت اراضي بالك الاتراك إلى اراضي الفرنسيين.

³ جوليان شارل اندري، تاريخ الجزائر الغزو وبدايه الاستعمار 1827 1871، المعهد العالي للترجمة، ط1، دار الامه، الجزائر، 2008، ص182.

⁴ سعدي بن زيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار وهم للطباعه والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص22.

⁵ عمار بحوش، الارض والهجره، الاصله، السنه02، ع11، الجزائر، 1992، ص121.

تحويل الضباط والجنود الى فلاحين ومزارعين واقامه حوالي سبعة قرى نموذجيه للاستيطان لكن سياسته لم تتجح لان من بين 800 جندي لم يستقر منهم سوى 60 شخصا لكنه نجح في جلب مهاجرين اخرين من المانيا وايطاليا واسبانيا بفضل التسهيلات التي كان يقدمها لهم.

ومن بين القرارات التي اصدرها بيجو لتشجيع الهجره قرار 18 افريل 1841 الذي ينص على ان كل فرنسي يملك مبلغا ماليا قدره 15 الف فرنك يستطيع شراء قطعه ارض اضافه الى مسكن وبين 1842/1845 انشا حوالي 35 قريه استطانيه وارتفع عدد الاوروبيين الى 46,180 شخص وبذلك سهله الاستيلاء على 132000 هكتار وانشاء عليها 27 قريه استطانيه بمتيجة والساحل بالاضافه الى مجموعه الى القرارات الاخرى التي سهلت لهم الطريق للاستيلاء على الاراضي منها قانون اكتوبر 1844 تضمن مصادره كل الاراضي غير مزروعه او غير موثقه في الاداره الفرنسيه وقانون اخر في 10 اكتوبر 1844 الذي ينص على نزع صفة المناعه عن الاوقات الجزائريه والانديسيه واخضائها للمعاملات التجاريه¹ وقانون 21 جويليه 1846 والذي اباح امكانيه الاستيلاء على الاراضي غير مستغله وكذا ارض العرش في حال ثبوت مشاركتهم في المقاومة² وهكذا ظهرت اسطوره الاراضي الشاغره لجات الى طرق اخرى لنهب المزيد من الاراضي كالايجار او البيع الصوري الشكلي وفي خلال كامل المرحله الجنرال بيجو بين 1841 و1847 نلاحظ إنشاء 61 مركزا استيطانيا منها اثنين في عماله الجزائر و 16 في قسنطينه و 13 في وهران ومعظم هذه المراكز ستثبت مستقبلا مقدار الجهود التي قام بها المارشال³ عند رحيل بيجو من الجزائر سبتمبر 1847 كان مجموع المستوطنين الاوروبيين بالجزائر حوالي 190400 مستوطن اوروبي بينهما اكثر من 15000 شخصا في المستوطنات الريفية الداخليه وحوالي

¹ يحي بوعزيز، سياسته التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص10.

² سعد الله ابو القاسم، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص131.

³ بن يوسف مجد الامين، ملكية الدومين وتطور الاستيطان الفرنسي في الجزائر 1870-1830، ماجستير تاريخ جامعه وهران، 2013 2014، ص190.

50 ألف فرنسي ينادون بضروره انهاء وصايا العسكريين عليهم والحاق الجزائر بفرنسا كما ينص على ذلك قانون افريل 1845 والقوانين السابقه له¹

1-2/ السياسة الاستيطانية خلال حكم الجمهوريّة الثاوية 1848 1852:

بسقوط ملكيه لويس فليب² سنة 1848 وقيام الجمهوريه الفرنسيه تم اعطاء الحق للمستوطنين الاوروبيين بانتخاب مستشارين لهم بالجزائر لكي يسير لهم امور حياتهم فاهتمت الجمهوريه الثانيه بامر التهجير والاستيطان الاوروبي حيث قامت بوضع خطه³ للتهجير 200000 اوروبي الى الجزائر خاصة المشاغبين وذوي السوابق وهذا لتسويه المشاكل الاجتماعيه في باريس

كان ببيرونو اول من ربط مساله الاستيطان بمساله الاجتماعيه⁴ واعتمد مجلس النواب الفرنسي على مبلغ قيمته 50 مليون فرانك لتنفيذ المرحلة الاولى من التهجير والاستيطان واسكات اصوات العمال الذين فشلت الحكومه في ايجاد عمل لهم وكذلك عدم تجسيد وعود الزعيم الاشتراكي لويس بلان على أرض الواقع حول الاكثار من المصانع الاهليه لاستيعاب اكبر عدد منهم فشرعت عمليه التهجير فقامت بتهجير من باريس وحدها 15000 شخص وطنتهم في 42 قريه استطانيه من بينهم 12 قرية استيطانيه في الجزائر العاصمة⁵ وحاول الاستيلاء على اكبر عدد من الاراضي الجزائريه وبذلك صدرت عده مراسيم مماثله في عهد الجمهوريه الثانيه استهدفت و اهتمت بشكل كبير بالاستيلاء على الاراضي الجزائريه وكانت النتيجة واحده وهي استطانه الارض على حساب سكانها ومن بين هذه المراسيم التي

¹ - يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار النهضة العربيه، لبنان، 1981، ص 220.

² - لويس فليب ملك فرنسا من 1830 الى 1848 ولد في باريس وهو من الطبقة الاستقرائيه وانضم الى الثورة الفرنسيه برتبه الضابط 1789 قاده البراليين الذين عارضو الحكم الملكي بفرنسا بعد احدات ثوره 1830 وبقرار من فرنسا عين في سبعة اوت 1830 ملكا على فرنسا انظر بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري، ج1، دار العزه والكرامه للكتاب، الجزائر، 2009، ص253.

³ - عماد لبيد، الاستيطان والتوطين الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، دراسه مقارنه دكتوراه قسم العلوم السياسيه العلاقات الدوليّه، جامعه الجزائر 03، 2010، ص38.

⁴ - جوليان شارل اندري المرجع السابق ص614

⁵ - بوعزيز يحيى، سياسه التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص13.

صدرت¹ المرسوم الصادر عن الجمعيه الوطنيه الفرنسيه بتاريخ 20 سبتمبر 1848 والذي ينص على تاسيس التعاونيات الزراعيه في الجزائر الخاصه بالمستوطنين. البيان العام الصادر عن الاداره الاستعماريه في باريس 23 سبتمبر 1848 الذي ينص بدعوه كل المواطنين الفرنسيين الراغبين في ان يكونوا ضمن قائمه 12000 المهاجر الى الجزائر تسجيل انفسهم فوصل عدد المسجلين في القائمه الى 100 الف راغب في الهجره. اللجنه الخاصه التي تاسست في 24 سبتمبر 1848 هدفها دراسه عمليه الاستيطان التي استقادت من مبلغ 50 مليون فرانك فرنسي²

أما في مجال الامتياز فقد تخلت الدوله عن اهم الضمانات التي سنتها القوانين الصادره سنوات 1845 و 1847 و صدر قرار 26 ابريل 1851 ليعوض العقد المؤقت الذي لم يكن يسمح الا بحق الانتفاع بعقد نهائي يسمح برهن العقار والتصرف فيه وبحلول تاريخ 91 ديسمبر 1851 كانت مساحه اراضي الامتياز الموزعه قد بلغت 19813 هكتار ثلثها في مقاطعه الجزائر 13,388 ه³

فبين عامين 1848 و 1851 وصلت فرنسا منح الاراضي للمستوطنين مجانا ونظرا للتحفيظات التي كانت تعرضها الاداره الاستعماريه شجعت المستوطنين الفرنسيين والاوروبيين على العموم الى الانتقال للعيش في الجزائر والاستقرار فيها ويمكن تقديم هذه المرحله بالارقام التاليه الى الجزائر ما بين 1848 و 1850 حوالي 20000 مستوطن من هم عشره الاف استقر بالجزائر و 3000 توفوا و 7000 رجعوا الى فرنسا ومن بين 10000 الذين استقروا بالجزائر هناك 3071 مستفيد من الارض منهم 1851 مزارع ومن بين 26 الف هكتار التي كانت موزعه على المستوطنين في 1848 تم بذلك استصلاح 1500 هكتار.

ورغم ان عدد الذين هجرتهم هذه الجمهوريه يقارب 800000 من ضمن 131000 مستوطن أوروبي عام 1851 مات من بينهم 66000 من أصل فرنسي فعال منهم حوالي

¹ عبد الملك خلف التيمي، المرجع السابق ص22.

² بوضرساية، المرجع السابق، ص233.

³ جوليان شارل اندري، المرجع السابق، ص633.

7000 فرنسا بسبب عدم نجاحهم وفشل المشاريع أما الفلاحين والمزارعين لم يزدوا عن 300000 وذلك بسبب:

1 - انهم عمالا وتجارا لا يفهمون مجهلون أمور الفلاحة

2 - صعوبة حياه الريف والعمل الفلاحي ادى الى عدم تاقلهم

3 - عجزهم على التعود على الحياه الجماعيه في المزارع الاشتراكيه¹

1-3/ السياسه الاستيطانيه خلال حكم الامبراطوريه الثانيه 1852 و 1870:

2 بعد سقوط الجمهوريه الفرنسيه الثانيه خلفتها الامبراطوريه الثانيه بزعامه نابليون الثالث

3 اوائل 1852 ولقد عرفت حركه الاستيطان نشاطا كبيرا خاصه في عهد جاك لويس راندون

الذي بنى حوالي 556 قريه استيطانيه خلال 1853 و 1858 واستعمل اسلوب مصادره

الاراضي وتفتيت اراضي الاعراش⁴ غير ان الامبراطوريه وبصفه عامه ادركت فشل

السياسات السابقه في المجال الاقتصادي والاجتماعي ومحاولة منها تصحيح الاخطاء

قلصت عدد المهاجرين واتبعت النمط البريطاني واعطت حقوق الملكيه دون ان تشترط

زراعتها او تقديم المساعده لهم كذا اخذت فكره الاستغلال الراسمالي تحل محل فكره تهجير

الاوروبيين ومساعدتهم على النمط الاشتراكي⁵ وفي تاريخ 26 ابريل 1851 صدر قانون

يقضي بتنظيم عمليات تمليك الاراضي للاوروبيين فانا نزع الملكيه من ايدي الجزائريين وكان

ذلك حتى بدايه العشريه الثانيه من الامبراطوريه الثانيه 1852 و 1870 فزادت من حدتها

وتم بذلك طرد الفلاحين والاستيلاء على الاراضي ونزعت اراضي الفلاحين من الملكيه

¹ - يحيى بوعزيز، سياسه التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص14.

² - نابليون الثالث هو شارل لويس نابليون بونابرت ولد في 20/04/1808 ثالث ابناء لويس بونبرت انتخب رئيسا للجمهوريه

الثانيه في ديسمبر 1848 لمدته اربع سنوات انقلاب ضد الجمهوريه 1952 اعلن النظام الامبراطوري مسميا نفسه

الامبراطور نابليون الثالث توفي 09/01/1873 عن عمر يناهز 75 سنه الموقع الالكتروني لوزاره المجاهدين.

³ - جاك لويس راندون قيصر راندون ولد 27/03/1795 عينه لويس نابليون كخليفه للجنرال هوتبول ليصبح لاحقا حاكما

عاما للجزائر 1857 تلقى الى رتبه مارشال في سنه 1856 مات بجنيف 1871 أنظر: بن داهة: عدة الاستيطان والصراع

المرجع السابق، ص495.

⁴ - يحيى بوعزيز، سياسه التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص19.

⁵ - يحيى جلال، المغرب الكبير، المرجع السابق ص226.

الفردية وبذلك ظهر الضغط الجبائي على الفلاحين الجزائريين¹ ففي عام 1854 سار عدد المهاجرين الاوروبيين في الجزائر 520 اوروبي وبالنسبة زياده تقدر بي 14,107 وفي هذا العهد انشأت مؤسسات زراعيه كبرى كانت تتعهد بانشاء القرى الاستطانيه هو جلب العديد من الاسره الاوروبيه فحصلت شركه جونيف السويسريه على 25 الف هكتار وشركه الانجوانر على 20 ألف هكتار مقابل التوطين 500 عائله سويسريه بالجزائر² مستوطنات كما تعهدت الشركه العامه الجزائريه بتنفيذ ما قيمته 100 مليون فرنك من الاشغال كما وزعت الحكومه الفرنسيه 50000 هكتار على 50 شخص اقطاعيه سنه 1860³

وقد تمكن المارشال راندون من توطين حوالي 1500 شخص وبمقتضى المرسوم الامبراطوري الصادر في رفع جوان 1855 نشأت مستوطنات زراعيه جديده اصطحبها الاستيلاء على اراضي زراعيه تقدر بالاف هكتارات كما تم التوسع في انشاء المكاتب العربيه وتقويه اجهزتها الاداريه والسياسيه مع ذلك لم يرتح مستوطنون الاوروبيون لسياسه المكاتب العربيه ولهذا السبب قام نابليون بالغاء الحكم العسكري بالجزائر ومنصب القياده العليا للقوات البريه والبحريه بالجزائر وكان كل ذلك نتيجته المراسيم التي اصدرها نابليون الثالث منها مرسوم 24 جوان 1858 والذي نص على انشاء وزاره المستعمرات وذلك لطمئنت المعمرين بالدرجه الاولى ليضمن استقرارهم في الجزائر⁴

حيث تم خلال عهد هذه الوزاره من 1858 الى 1860 انشاء 17 قريه استطانيه وزعت 4600 قطعه زراعيه مجانا على المهاجرين الاوروبيين مما يكشف مزايا هذه الوزاره وخدماتها اللامحدوده للمستوطنين الاوروبيين سياسه واقتصاديه واجتماعيه الى غايه عام 1860 حيث زار نابليون الجزائر وقام بالغاء وزاره الجزائر والمستعمرات يوم 26 نوفمبر 1860 واعاده

¹ احمد حسين السليمانى، نزع الملكيه العقاريه للجزائريين 1830 و 1871، المصادر، ع6، الجزائر، 2002 ص118.

² عبد الرحمان الجيلالي بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4، 7، ديوان المطبوعات الجامعيه، الجزائر، 1994 ص9.

³ شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ط2، شركة دار الامه للطباعه والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 ص67.

⁴ بوضرساىة، المرجع السابق ص234.

نظام الحكم العسكري السابق¹ كما جمعت في يده كل السلطات تقريبا ثم اخذ نابليون يفكر في تطبيق سياسته جديده اتجاه الاهالي الجزائريين كما شغلته مشكله الملكيه الشخصيه للاراضي بالنسبه للاهالي بعد ان اشتدت عمليات انتزاعها ومصادرها منهم واستقر رايه على اقرارهم في الاراضي التي يستغلونها رغبه تاييد ضباط المكاتب العربيه لهذه السياسه جديده والحاح نابليون على تطبيقها فان السلطات الاستعماريه في الجزائر عارضتها وقامت بمسح اراضي للقبائل المشاعه وتحديدها وتباطات في تطبيق قرار 22 ابريل 1863 كما بقيت هجره الاوروبيين الى الجزائر في عهد الامبراطوريه مستمره في سنه 1866 اصبح عدد الاوروبيين يبلغ 2000 الف نسمة على انه كان يبلغ سنه 1866 نحو 160 الف² ولقد اعتمدت فرنسا في تدعيم مشروع الاستيطان في ظل الحكم العسكري الجزائر 1830-1870 على العديد من الوسائل والاساليب فالى جانب السياسة العسكريه السياسه القانونيه تارجحت بين الارتجاليه التردد والجور قائمة أساسا على مصادره اراضي الجزائريين ومنحها للمستوطنين مع منح مختلف الامتيازات والمساعدات لهؤلاء وهذا بهدف تحويل الجزائر الى مستعمره اوروبيه يسري فيها الدم الفرنسي.

2/ السياسة الاستيطانية الفرنسية خلال فتره الحكم المدني 1870 - 1900:

لقد اعتبر العديد ممن كتب حول الفتره الاستعماريه ان فتره الحكم المدني من أهم وأخرج فترات عمليات الاستيطان لعدده اعتبارات منها الانتقال من الحكم العسكري الى الحكم المدني الغي نظام الامبراطوريه وتم الاعلان عن قيام الجمهوريه الفرنسيه الثالثه بعد هزيمه فرنسا في معركتي سيدان وميلز واستسلام الامبراطوريه الفرنسيه نابليون الثالث وقد تم الاعلان عن قيام الجمهوريه الفرنسيه الثالثه في اربعة سبتمبر 1870 بحماس كبير من طرف اوروبيين الجزائر لتخلصهم من نفوذ العسكريين هذا التحول جاء نتيجة تراكم عوامل في مقدمتها الصراع بين الكولون والجيش الاستيطان وطرق الحصول على الاراضي لسد نهم الوافدين ومع تشجيع الهجره الفرنسيه خاصه هجره اهالي مقاطعتي الالزاس واللورين وتغليب العنصر الفرنسي من خلال اصدار عده مراسيم لدمج الجزائريين واليهود وعناصر اوروبيه اخرى

¹ يحيى بوعزيز، سياسته التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص19.

² جوليان شارل اندري، المرجع السابق، ص634.

ومنحهم الجنسية الفرنسية والسلطات المطلقة في جميع الميادين وقبل التطرق لهذه النقطة يجب أولا الحديث عن الهجرة الأوروبية خاصة هجرة أهل الألزاس واللورين.

أولا: استخدام مهاجري الألزاس واللورين.

من تداعيات الثورة البروسية الفرنسية مشكله مهاجري الألزاس واللورين حيث صدرت عدة مراسيم وقوانين لتنظيم عملية استقبال هؤلاء النازحين من شمال شرق فرنسا بسبب الحرب اثرى الهزيمة التي وقعت في فرنسا على يد المانيا عام 1870 وبعد سلسلة من المراسيم المتعلقة بانتقال السلطة من يد العسكريين الى المستوطنين فكل هذه المراسيم وضعت السلطة في يد المعمرين الذين شجعوا الهجرة لدعم تواجدهم فقد اقترح محافظ الجمهورية اليكسي لامبير يوم 5 مارس 1871 قائلاً ان الألزاسيين سيغيرون الارض دون تغيير الوطن¹ وقد تكلف لهم الحكومة بمنحهم 100000 هكتار من خيره الاراضي² وقد تم التصويت على القانون بتاريخ 21 جوان 1871 غير أن قانونا صدرى يوم 15 من نفس السنة حدد التزامات الدولة ونظم لجان الهجرة وخصص قرض قدره 400 الف فرنك³ ففي الدفعة الاولى استوطن حوالي 5000 شخص في الجزائر هذا ما شجع الزيادة في عدد المهاجري.

تعد فترة 1871 - 1881 ذروة الموجات المهاجرة نظرا للمجهودات المبذولة لتسهيل على أهل الألزاس واللورين العيش الهني والحياه الكريمه⁴ فيتضح من كل هذا ان إدارة الاحتلال سبغت النشاط الاستيطاني وهو ما يميز الحكم المدني حيث مثلت مرحله النظام الجمهوري العصر الذهبي للهجرة والاستيطان حيث هاجر آلاف من فرنسيين الألزاس واللورين ومن جنوب فرنسا وكانت الأولويه في امتلاك هذه الاراضي لمهاجري الألزاس واللورين⁵.

ثانيا: تدعيم الاستيطان بقوانين جديدته.

¹ - شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص114.

² - شارل روبيير اجيرون، تنمية الاستيطان في الجزائر 1870 - 1930 ، ترجمه محمد الطاهر العمودي، مجله المصادر ع2 ، الجزائر، 1999، ص187.

³ - شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق ص115.

⁴ - بوضرساية، الجرائم الفرنسيه ، المرجع السابق، ص227 .

⁵ - حياه سيدي صالح، اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين 1871 - 1895، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ، ص86.

لقد كان سن القوانين الجائره والتشريعات الماكره تجري مع عمليات التوسع الاستعماري في البلاد وهكذا بدأت السلطه تقوم بلعبه التشريع وتمطيط القوانين ليتسنى لها المزيد من النهب الاراضي والاملاك هذه القوانين صدرت في مجال الاراضي التي صاغتھا مختلف الانظمه السياسيه التي تعاقبت على الحكم في فرنسا بمختلف مشاربھا الفكرية توجهاتها الايديولوجيه وسنكتفي بذكر بعضها في هذا الجزء من البحث ولان معظمھا سبق ذكرھا في سيروره تتبع مراحل الاستيطان مع التركيز على ثلاث قوانين:

- قانون سيناتوس كونسيلت 22 ابريل 1863 القرار المشيخي الهادف الى تحطيم الشعب الجزائري اقتصاديا واجتماعيا وهو قانون امبراطوري في عهد نابليون الثالث الذي مكن الاوروبيون من السيطرة على الاراضي والقاضي بتوزيع اراضي العرش الجزائريه على المستوطنين¹ حيث استبدل فيه حق استقاده الجزائريين من اراضي العروش بتمليكھا لهم وفرض تقسيمھا بعد ذلك على الدواوير وعلى الافراد لتفتيھا وتحويلھا الى ملكيات فرديه بغرض تحقيق الترقية الثقافيه للجزائر...؟

حيث نص على ان كل العقود وجميع قرارات التقسيم وكل عمليات مصادره الاراضي والتي أبرمت بين الحكومه الفرنسيه والاهالي بخصوص ملكيه الارض تبقى ساريه المفعول كما تبقى حقوق الدوله مضمونه في ما يتعلق باملاك البايليك حيث كان يهدف هذا القانون الامبراطوري الى تثبيت الحدود الترابيه للاراضي القبائل وهو مجرد وسيله لتحقيق الهدف الاساسي المنشود الا وهو توزيع الاراضي بين الدواوير وانشاء الملكيه الفرديه²

- قانون 62 جويليه 1873 قانون وارنيي³ بناء على تقرير قدمه وارنيي يهدف الى القضاء على الملكيه الجماعيه للقبائل والاعراش بحيث لم يعد هناك ملاك الارض تحت صفه اوسند ملكيه العرش او الملك وانما ملاك عقاريون لا غير ويعتبر هذا القانون مكملا للاجراءات التي جاء بها القرار المشيخي 22 افريل 1863 باقرار الملكيه الفرديه للجزائريين و عن

¹ - مصطفى الاشرف، الجزائر الامه والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبه، الجزائر، 2007، ص17.

² - سعد جهاد، السياسه الاستيطانيه في الجزائر واثارھا على المجتمع الجزائري 1830-1900، ماستر في التاريخ المعاصر، جامعه بسكره، 2012/2013، ص43.

³ - وارنيي ممثل الجزائر في الجمعيه العامه نائب يمثل الكولون جزائريين في البرلمان الفرنسي وهو الذي بناء على اقتراحه تم التصويت على قانون تحويل الملكيه الجماعيه في الجزائر الى ملكيه خاصه.

طريق هذا القانون سيوقع الفلاحون الجزائريون مجددا بعد ان تحصلوا على سندات ملكيه من قبل اداره المصالح العقاريه الى بيع اراضيهم ليجد أنفسهم مبعدين عن ذلك¹ الهدف الى تحقيق غايتين أولهما تمكين الجزائر من استعادة قوتها الانتاجيه القديمه بفضل قاعده افضل للملكيه وثانيهما وضع حد لحاله اللاعدالة لتوزيع الارض بين سكانها الحاليين والوافدين الهجره الفرنسيه او الاوروبيه.

- قانون 22 افريل 1887 التفكك النهائي لآخر الروابط الأسرية وتحقيقا لتركيز ملكيه الاراضي الزراعيه في يد الكولون والاوروبيين واتمام لعمليه تفكيكها وتجزئتها بين افراد العرش او القبيله قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بمساعي لمراجعته قانون 1873 وتعديله وذلك خدمه لصالح الكولون بسن قانون يبطل الحظر المفروض على نقل املاك العرش واهم اجراءات هذا القانون ما يلي:

- 1- العوده الى العمل بالاجراءات التطبيقيه الخاصه بتحديد اراضي القبائل والدواوير.
 - 2 - التقيد باشكال التي حددتها ماده 4 من قانون 22 ابريل 1887 في حالات التنازل وبيع الملك المشاع في المزاد العلني وتجزئه الميراث.
 - 3 - تسهيل شكليات التطهير الخاصه التي اقرها الفصل الثالث من قانون 1873 وكذلك وضع معالم حدوديه تمنح الممتلك الارض ولجيرانه امانا وطمانيه واسعين.
 - 4- السماح للاوروبيين بحق الحصول على عقارات داخل الاراضي العرش وهذا قبل اتمام الاجراءات المتعلقة بانشاء الملكيه الفرديه².
- بالاضافه الى قانون 16 فيفري 1897 اين وجدت السلطات الاستعماريه الفرنسيه صعوبات تحول دون تحقيق قانون 1887 بسبب العقبات التقنيه وحتى لا تعيق النشاط

¹- بن داهة عدة، الخلفيات الحقيقيه للتشريعات العقاريه في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي 1830 1873 ، الملتنقى الوطني الاول حول العقار في الجزائر ابان الاحتلال، منشورات وزاره المجاهدين، الجزائر، 2007، ص148.

²- بن داهة عدة ، الاستيطان والصراع حول ملكيه الارض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 1962، ج 1 ، المرجع السابق، ص376.

الاستعماري لجات الى سن قانون جديد في 16 فيفري 1897 وكانت ملامحها تتمثل في ما يلي:

ابطل هذا القانون بمقتضى مادته الاولى الاجراءات العامه والجزئيه التي اقرها الفصل الثاني والثالث من قانون 1873 واستبدالها باجراء وحيد واجراء لا يميز بين المالكين مهما كانت جنسيتهم ومهما كان اصلهم واصبحت الطلبات من حق الاوروبيين والجزائريين على حد سواء وهكذا يكون قانون 1897 قد جدد مساله التمييز بين اراضي الملك وراضي العرش التي اهملت في قانوني 1873_ 1887¹ اذن نجد ان هذا القانون حل محل قانون 1887 ولم يعطي الاستعمار الاراضي الزراعيه بشكل مباشر لانه لم يسمح للفلاحين الجزائريين ببيع قطعهم الارضيه لاعتباره اقتراح تطبيق اجراءات قانون 1887 فقط على الراغبين في بيع حقوقهم الارضيه الواقعه ضمن اراضي العرش او الملك وعلى هذا الاساس اصبح من حق الفلاح الجزائري المالك لقطعه ارض ملك له الحق في اراضي العرش ان يطالب بتطبيق اجراءات قانون 1863 الذي يمكنه من بيع ارضه لاحد الاوروبيين اول احد الجزائريين اول الحصول على سند ملكيه من الاداره الاستعماريه.

3/_ السياسه الاستيطانيه الفرنسيه في الجزائر ما بين 1900 1962:

مع مطلع القرن 20 فقد انتقلت من زرع المعمرين اولى اعدادي نصوص قانونيه تعززهم وتدعمهم فبلغوا عنفوان نفوذهم وتأثيرهم على الحياه الاقتصاديه والسياسيه في الجزائر فقد اعطاهم قانون 19 ديسمبر 1900 الذي نص على منح الحكم الذاتي للجزائر حريه اداره الشؤون الماليه والاقتصاديه والاجتماعيه الخاصه بالجزائر وبفضل هذا النفوذ صاره في مقدورهم استصدار قوانين خاصه بالجزائر تتماشى ورغباتهم التي لم تعد لها حدود ولا شك بان ظاهره تفتيت الملكيه الاهليه تعود في اسبابها الى قانون 1897 الذي قضى على حصانه اراضي العرش وجعلها قابله للبيع بعد تاسيس الملكيه الفرديه فيها²

¹ - ساعد جهاد، المرجع السابق، ص43.

² - يحيى بوعزيز، سياسه التسلط، المرجع السابق، ص230.

3-1/ السياسة الاستيطانية قبل الثورة التحريرية:

- الاستيطان بين شجع المعمرين ومعاناه الاهالي: لقد مر على احتلال الجزائر 70 عاما قضتها في العمل على تجريد الجزائريين من اراضيهم وبالمقابل ظلت تقدم المساعدات والتنازلات للمعمرين الذي جعلت منهم اسيدا في هذه البلاد والسؤال المطروح هل كان تنوي اجراء اصلاحات عقاريه لفائده الاهالي ومن جهة اخرى هل باستطاعتها كبح جماح المعمرين بعدما اصبحوا اكثر قوه ونفوذ من اي وقت مضى؟¹

- قانون 13 سبتمبر 1904 تعلق بتنظيم حيازه اراضي الدومين الموجهه للاستيطان والابقاء على الامتياز المجاني الكولون بشرط الاقامه في الجزائر لمدة عشر سنوات على الاقل وقد وافق على الطرق الاربعه لحيازه الاراضي: سعر ثابت، البيع بالمزاد العلني، البيع بالتراضي، بالاضافه الى الامتياز المجاني ولعل من اخطر ما جاء في مرسوم 1904 هي المادة 32 التي نصت على انه يمكن للاهالي الاستفاده من امتيازات مجانيه وهذا كمكافاه عن الخدمات الاستثنائية التي يقدمونها والاكيد ان هذه المادة لم تكن سوى مجرد خدعه الغرض منها بث روح الخيانه بين الجزائريين من خلال اغرائهم بالاراضي التي كانوا في امس الحاجه اليها.²

وبهذا يمكن القول بان قانون 13 سبتمبر 1904 قد جاء لي يضع العراقي التي تحول دون انتقال الأراضي إلى الجزائريين ثم العمل على تسهيل انتقالها إلى المعمرين بمختلف الوسائل والأساليب.

- المحاولات الفرنسية لحماية ملكية الأهلية: رقم صدور منشور 6 جويليه 1910 عن الحاكم العام³ الذي نص على انه لا يمكن للاداره ان تسمح باستفحال ظاهره تجريد الجزائريين من اراضي وتبع لذلك اعطت اوامر للاداريين تقضي باعطاء الاولويه للفلاحين المحرومين في عمليه تاجير الاراضي البلديه لكن استمرار انتقال الاراضي من الفلاحين الى

¹ - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الارض، ج2، مرجع السابق، ص113.

² - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الارض، ج1، المرجع السابق، ص396.

³ - شارل روبيير اجيرون، جزائريون المسلمون، ج2، المرجع السابق ص228.

ايدي الاوروبيين يثبت فشل كل المحاولات الرامية لوضع حد لهذه الظاهرة. لقد تصدر المعمرون بكل قوه لمشروع تكوين الملكيه الاهليه وبدلا من النظر الى الامور باكثر واقعيه راح المعمرون يقترحون على الاداره حلول لمشاكل الاهالي لا يمكن في الواقع الا ان تزيد في تعاستهم ومن بين هذه الاقتراحات: فكره الحصر المحدود¹ وهكذا كان المعمرون ان يحوله الى مشروع جديد لحصر الاهالي وطردهم نحو مناطق الجنوب وبهذا يمكن القول بان لجنه حمايه الملكيه الاهليه قد فشلت في مهمتها فاشلا ذريعا. بالاضافه الى ظاهره الاستيلاء على اراضي الغائبين من اجل اداء الخدمه العسكريه الاجباريه او المشاركه في جبهات القتال اثناء الحرب العالميه الاولى 1914 / 1918 مقصوره على القياده فقط وانما شملت كذلك موظفي املاك الدوله والفلاحين الجزائريين² كما شهدت هذه الفتره المحاولات الاولى لاستعادته شراء الجزائريين لاراضيهم المغتصبه التي اشتملت على تلك الاراضي التي تخلي عنها الكولون لاسباب جغرافيه او امنييه حيث اتخذت شكلا واسعا ومفاجئا يندر بالخطر ضد مستقبل الكولون وجودهم الجزائر.

- مؤسسات في ظاهرها خدمه الفلاح الجزائري: امام حاله البؤس التي دفعت اليها غالبيه الفلاحين الجزائريين نتيجته تجريدتهم من اراضيهم وامام تخوف الاداره الاستعماريه من عواقب هذا البؤس راحت هذه الاخيره تبحث عن ايجاد نوع من الاستقرار داخل الريف الجزائري من خلال انشاء مؤسسات ماليه وتعاونيات من شانها تحسين الظروف والسؤال المطروح: هل كانت هذه المؤسسات فعلا في خدمه الفلاح الجزائري ام انها مجرد عمليه ذر الرماد في العيون؟

- القرض الفلاحي: في ظل الاثار السلبيه التي رافقت الاستعمار وانتشار ظاهره الربا³ ظهرت مؤسسه القرض الفلاحي كمنظمه الغرض منها حمايه الفلاحين والمعمرين من ابتزاز المرابين والتي ترجع الجذور الى مطلع القرن العشرين صدور قانون 8 جويليه 1901 الذي نص على انشاء شبكه من الصناديق الجهويه والمحليه وقد اعيد تنظيمها بموجب قانون 20 ديسمبر 1924 الذي اتبع بمرسوم 26 نوفمبر 1926 الذي نص على تنظيم القرض

¹ - شارل روبيير اجيرون، الجزائريون المسلمون، ج2، المرجع السابق، ص232.

² - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكيه الارض، ج2، المرجع سابق، ص137.

³ - مغنيه الازرق، المرجع السابق، ص56.

الفلاحي في الجزائر وقع اجراءات جديده ¹ من اجل اعطاء دفع جديد لمؤسسات القرض الفلاحي صوت البرلمان الفرنسي سنة 1927 على قانون يقضي بتاسيس الصندوق العقاري الفلاحي للجزائر الغرض منها تدعيم الصناديق الجهويه للقرض الفلاحي وقد دخلت هذه المؤسسة الجديده في الخدمه ابتداءا من سنة 1926 ² لكن رغم هذه الاجراءات الجديده الى ان الفلاح الجزائري بقي محروما من الاستقاده من هذه المؤسسات سواء الشركات الاهليه للاحتياط ³ او صناديق القرض الفلاحي والتي انشأت في الظاهر لتحسين ظروف الفلاحين.

- هي التي تدفع بنا الى القول بان اقدام الاداره الاستعماريه على انشاء هذه المؤسسات لم تكن سوى عمليه ذر الرماد في العيون حاولت من خلالها امتصاص غضب الريف الجزائري الذي وصل الى حد من الحرمان قد يدفعه الى القيام برد فعل غير متوقع.

- مرسوم ربعه اوت 1926: لقد اثرت الحرب العالميه الاولى بشكل مباشر على عمليه تبادل العقاري بين الجزائريين والاوروبيين والتي كانت لصالح الجزائريين بسبب حاله لا امن وهذا ما اثار مخاوف الكولون الذين حاولوا الضغط على الحكومه هذه العمليه التي ستؤدي في النهايه الى خساره فرنسا للجزائر ومن هنا كان لازما على المشرع الفرنسي اصدار قوانين عقاريه اخرى تتماشى والفتره التاريخيه الجديده ⁴.

حيث لم يكن يهدف فيه الى ادخال تغييرات جذريه على التشريع العقاري القائم ويمكن حصر اهم ما جاء فيه في نقطتين اساسيتين: العوده الى تنظيم التحقيقات الشامله في اراضي العرش وادخال بعض التعديلات على قانون 1897 منها انه قابل للتطبيق في المناطق الشماليه وفي المناطق الجنوبيه ومهما يكن من امر فان عمليات فرنسيه الاراضي الجزائريه من جهه وانتقالها من ايدي الجزائريين الى ايدي المعمرين من جهه اخرى قد ظلت مستمره وبشكل اسرع في وقت مضى قد ادى تطبيق قانون 16 فيفري 1897 و 04 اوت 1926 الى فرنسة اكثر من مليون هكتار 1015733 هكتار وهذا الى غايه 1930 فقط كما ان تطبيق

¹ - رحمان دليله، المرجع السابق، ص 66.

² - حيمر صالح، المرجع السابق، ص 235.

³ - عبد اللطيف بن انشهو، المرجع السابق، ص 234.

⁴ - بختاوي خديجه، المرجع السابق، ص 41.

القانونين بالتوازي يعني ان التحقيقات الجزئية التحقيقات الشاملة سيتم اجراؤها جنبا الى جنب¹ من خلال ما سبق نلخص الى نتيجته وهي ان قانون 04 اوت 1926 لم يكن ليخرج عن الاطار العام للسياسة الاستيطانية في الجزائر وانما كان مجرد خطوه جديده ضمن الخطوات التي قطعتها هذه السياسة وبالتالي لم يؤيد تطبيقه الى تحسين اوضاع الفلاحين الجزائريين بل زاد في تعاستهم بحيث انه في ظرف سبع سنوات 1928-1936 تمكن الكولون من الاستحواذ على 69 بالمئه من اراضي العرش.

- قانون 7 فيفري 1939: وبعد استقرار وضع الكولون وتمكن من مصادره الاراضي التي بيعت جزائريين خلال الحرب العالميه الاولى والتي فقد خلالها الاوروبيون العديد من الاراضي الزراعيه وهذا ما اعاق سياسه الاستيطان في تقرر اصدار قانون 1937 الذي نص على انشاء مصلحة خاصه بالتنظيم العقاري² والذي تلاه في 07 فيفري 1939 مرسوم ينظم الاشهار العقاري الخاص بمنطقه القبائل كل الاراضي ملك غير مفرنسة تودع لدى محافظه الرهون وبهذه الاجراءات يلبت الاف من الهكتارات اراضي العرش وتحت ضغوطات وظروف الاحتلال والاحتياج كانت الاف من الهكتارات تنقل من الجزائريين الى المعمرين كما توصلت هذه العمليه إلى غايه اندلاع الثورة³

3-2/ السياسة الاستيطانية خلال الثورة التحريرية:

ان فكره المحافظه على الثورة العقاريه وتوفير الاراضي الفلاحيه الضروريه لاجراء اصلاح زراعي جذري قد تجلت مع بدايه الثورة التحريرية وتاكدت في مؤتمر الصومام وزداد الترسخ وعمقا قبيل الاعلان الرسمي عن الاستقلال الوطني وذلك في مؤتمر طرابلس جوان 1962⁴ خلال فتره الثورة التحريرية بادر الاستعمار الى سن قوانين وتنظيمات تمس النظام العقاري والذي يمكن ايجازه فيما يلي:

¹ - حيمر صالح، المرجع السابق، ص 236.

² - بختاوي خديجه، المرجع السابق، ص 42.

³ - الطاهر ملاحسو، نظام التوثيق في ظل التشريعات العقاريه بالجزائر 1830 / 1962، اعمال الملتقى الوطني الاول حول العقار في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزاره المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 43.

⁴ - بن داهاة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكيه الارض، ج 2، المرجع السابق، ص 429.

التشريعات الاستيطانية غداة اندلاع الثورة التحريرية:

كان نداء اول نوفمبر لمقاطعة العدو الفرنسي صدى ايجابي حيث امتنع الجزائريون في التعامل مع المعمرين و باندلاع الثورة اقدمت الاداره الاستيطانية على اصطلاح الاصلاح العقاري في 031956/26 المتعلق بالتهيئه العقاريه والذي كان يهدف من وراءه مواصله العمل للوقوف على طبيعه اراضي الملك الخاص وكذلك اراضي العرش لتأسيس الملكيه الفرديه¹ وتشجيع المبادلات العقاريه الوديه بهدف وضع حد لتجزئه تقنيت وتبعثر الملكيات العقاريه ثم سعي عقاري جديد في 03. 01. 1959 حول عصرنة العقار باجباره مره اخرى كل الجزائريين للتعامل في المعاملات العقاريه في شكل رسمي اي امام الموثق² والذي قوبل بالرفض.

الهدف من هذه التشريعات فانون 03 واحدا 1959 كان في نفس السنه التي بدات فيها المفاوضات الاوليه بشأن تقرير مصير فالسؤال المطروح: هل ان المقصود فعلا هو اصلاح منظومه التشريع العقاري؟ ام القصد منه حمايه الملكيات العقاريه للمعمرين في حاله استقرار الجزائر.

من المفروض ان يطبق هذا القانون على كامل الأراضي الجزائرية دون الاقتصار في تطبيق على بعض المحيطات العقاريه في العملات الجزائرية والغريب ان فرنسا أدخلت نظام السجل العيني في تونس سنه 1885 وبالكثير من المستعمرات دون الجزائر لانها كانت تعتبر الجزائر جزء منها ومنه فالقصد الفعلي هو حماية الملكيات العقاريه للمعمرين بإدخال نظام السجل العيني³.

¹ - الطاهر ملاحسو، المرجع السابق، ص44.

² - رشيد فارح، التشريعات العقاريه الاستعمارية اثناء الثورة التحريرية اصلاح ام حمايه، وضعيات اعمال الملتقى الوطني الاول حول العقار في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزاره المجاهدين، الجزائر، 2007، ص256.

³ - رشيد فارح، المرجع السابق، ص 257.

كما أسلفنا فيما سبق ان هذه النصوص بقيت حبرا على ورق ولم تطبق ميدانيا نتيجة الظروف أثناء الثورة التحريرية خصوصا قرارات جبهة التحرير الوطني والتي أمرت الجزائريين بمقاطعه الإدارة والقضاء الاستعماريين.

الفصل الثالث

دور المكاتب العربية في إخضاع الأهالي

الركن السياسي والعسكري

الركن الإداري و التعليمي

الركن الاقتصادي والاجتماعي

الفصل الثالث: دور المكاتب العربية في إخضاع الأهالي

المبحث الأول: الدور العسكري

في الحقيقة ان مؤسسة المكاتب العربية عبارة عن هيئة عسكرية، ولكن بمقتضى عوامل عديدة اسند إليها مهام كثيرة من اجل إخضاع الأهالي، ومن اجل إثبات قوتها العسكرية حاولت استغلال القوات الأهلية وهيكلتها تحت وصايتها. فقد استعمل ضباط المكاتب العربية القوم كقوة أهلية غير منتظمة في مهام استعمارية كثيرة ساعدت الاستعمار الفرنسي على فرض هيمنته على البلاد كان يطلق على هذه الفئة تسمية " الحرس الوطني " حيث كانت تقوم بعمليات التفتيش إلى الجيش الفرنسي واستخلاص الضرائب من المناطق التي تمتع عن الدفع.

كان تنظيم القوة من قبل مؤسسة المكاتب العربية تنظيماً استراتيجياً يستهدف التحكم والسيطرة على القبائل، فمثلاً قبيلة أولاد ماضي وقبائل أخرى من الحضنة كانت المكاتب العربية بـ 422 قوماً كلما احتاجت المكاتب إلى تلك العناصر. وقد كانت هذه العناصر ممثلة في كشف الطرق واستطلاع الوضع عندما يكون الجيش الفرنسي يوشك على شن الغارات على القبائل.

أما القوة الثانية التي استعملتها مؤسسة المكاتب العربية هي المخزن حيث تشكل هذه القوة العنصر الأساسي للقوات التركية بالجزائر، وهي عبارة عن مجموعة من القبائل المعفاة من الضريبة مهمتها على حد القول فرناند لاباسيت (F.Lapasset) مساعدة المنصرين لإخضاع المنهزمين " ولم تكن هذه القوة تخضع لتنظيم عسكري أو إداري و إنما كانت مقيمة في بيوتها تستجيب عند طلبها من طرف المكتب العربي".

كانت مهمتها الأساسية تتمثل في التجسس وجمع المعلومات الضرورية لصالح الاستعمار من قبل القبائل وكذا تبليغ أوامر المكاتب العربية إليها ومراقبة تحركات الأهالي.¹ من جهة أخرى كانت رغبة ضباط تدعيم المخزن من خلال دمج أبناء العائلات المنتقدة الذين كانوا يتخوفون من النظام العسكري، وذلك قصد إعطاء صبغة شرعية لأعمالهم، ويكون هذا الدمج من خلال إعطاء البرنوس الأزرق للمخازنية بدلاً من الأحمر للصبايحية.

¹ - J. Frémeaux .les bureaux arabes dans le département d'Alger (1844-1856).thèse de 3e

كما قامت مؤسسة المكاتب العربية بإنشاء قرى مخزنية وذلك من أجل تحقيق إخضاع كلي للقبايل، لهذه القرى كان اقتراح إنشاؤها من طرف الضابط فرناند لابسيت حيث عرفها: " بأنها عبارة عن قرى أهلية، تحمل السلاح وتمتطي الخيل، وتعفي من الخدمات الأخرى والضريبة، بحيث تشكل نوعا من الميليشيات تحمي رؤساء الأهالي، وتقوم بدور حارس الطرقات الأسواق والبريد واستخلاص الضرائب ... " ¹.

لم تستعمل المكاتب العربية القوم والمخازنية فقط بل لجأت حتى إلى الخيالة وذلك من أجل ضمان إخضاع للأهالي، لأن لهذه الفرقة تضمن استمرار الاتصال بين رؤساء الأهالي، هذه الفرقة كان إنشاؤها قبل تأسيس العربية أي في 16 سبتمبر 1834 م، ولكن بدأت هذه الفرقة العمل فعليا بعد تأسيس المكاتب العربية. ²

اصطلح لضابط شارل ريشارد على هذه الفرقة مصطلح "الدرك السياسي" وذلك أن هذه الفرقة الحريصة كل الحرص من أجل الحفاظ على الأمن العام. وقد وصفها أيضا بقوله: " أنها بمثابة أعيننا وأيدينا وأذاننا في وسط الأهالي " ³.

كان عناصر هذه الفرقة يتقاضون راتبا مقابل خدمتها لمؤسسة المكاتب العربية حيث كان يتقاضى راتب حوالي 30 فرنكا شهريا. ⁴

وأوضح الدكتور صالح فركوس كيف كانت مؤسسة المكاتب العربية تقوم بتوزيع الخيالة على المناطق الهامة من أجل القيام بإعمالها المتمثلة في البريد والاتصال، وكذا مراقبة تحركات الأهالي:

برج بوعريريج: 20 قيادة بني باعلي: 8

بوسعادة: 20 قيادة الساحل: 5

منصورة: 6 بجاية: 20

بوداود: 6 بوسيع: 6

¹ - x.Yacono **les bureaux et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell-algérois**, paris, 1953, P 120 121 .

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 39 .

³ -CH.Richard, **du gouvernement arabe et de l'institution qui doit l'escercer**.alger, 1848,P 92 93.

⁴ -CH.RICHARD .O P.CIT .p95

عين تاغوت: 8 خليل:

عين الصفا: 6 عين عبد الجبار: 20

بني نايل: 6 هلية: 20

لعراش: 4 المجموع: 163 خيالة¹

كما اعتمدت المكاتب العربية أيضا على الفيلق الثالث للصباحية، هذه الفرقة هي فرقة منتظمة بلغ عددها سنة 1848 م 160 صباحيا، ليصل عام 1849 م إلى حوالي 2200 صبايحي. في حين أن هذا العدد مع حلول عام 1852 تناقص إلى أن وصل إلى 170 صبايحي.

كانت هذه الفرقة بتبليغ أوامر المكاتب العربية للقبائل، وكذا إطلاع هذه المكاتب بما يجري في وسط الأهالي، وفي هذا الشأن يذكر النقيب قائلاً: "لقد كان الصبايحية باستمرار تحت تصرف المكاتب العربية، حيث كان يشكل كل عنصر منها جاسوسا لصالحنا ورهينة عندنا في آن واحد ... إنهم يزودوننا بمعلومات جد ثمينة عن الأماكن غير المعروفة لدينا. كما يبلغوننا الأوامر القادمة من السلطة العليا".²

ولهذا نستنتج أن ضباط المكاتب العربية استعملوا كل الوسائل من أجل إخضاع الأهالي، إلى أن وصلت إلى حد مراقبة كل تحركاتهم، وفي هذا يقول رئيس مكتب القالة فريناند هيغونيت " لما كنت رئيسا بهيئة المكاتب العربية. بدائرة القالة، كان كل انشغالي هو مراقبة الرأي العام للسكان، والعمل على إخضاعه لتأثيري ..."³

كما أخذت المكاتب العربية على عاتقها مهمة تشجيع سياسة الاستيطان منذ عام 1843م، ففي هذه السنة وحدها وصل إلى الموانئ الجزائرية 14 ألفا ومائة وسبعة وثلاثون مهاجرا، كما اشتدت عمليات بناء المستوطنات حتى بلغ عددها سنة 1844 م 28 مستوطنة.

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 41.

² - نفسه، ص 42 43.

³ - F.Hugonnet, Souvenires d'un chef de bureau arabe, op, cit . P 139.

في سنة 1845 تم تأسيس ضيعات فلاحية سكيكدة هيئت للمعمرين، من ذلك على سبيل المثال ضيعة فالي على النهر الأيمن بواد الصفصاف وكذا مستوطنة دامريمون على الضفة اليسرى من الوادي، ومستوطنة سانت أنطوان.

وهكذا فإن بداية إنشاء المستوطنات تزامن مع نشأة المكاتب العربية، فقد اعتبر ضباط هذه المكاتب الأهالي مغتصبين في حين أن الأوربيين غاصبين، ولهذا فان المكتب العربي أصبح حريص على توفير الأراضي للأوربيين وهذا ما ساعد على اشتداد الهجرات الأوربية إلى الجزائر. كما قام الحاكم العام في 27 فيفري 1849 م. بإصدار قرار يدعو فيه ضباط المكاتب العربية إلى بذل المزيد المجهودات من أجل إقامة علاقات حسنة بين المعمرين والأهالي.

ومن هذا القرار تضاعفت مجهودات وتشجيعات ضباط المكاتب العربية للحركة الاستيطانية وذلك ببناء القرى، فبنيت حوالي 50 قرية من عام 1853م إلى عام 1859م ومن اجل توسيع مناطق الاستيطان طالب الحاكم العام راندون الأهالي بالتنازل عن الأراضي التي يحتاجون إليها ، في المقابل تعترف لهم بحق الملكية الفردية أو الجماعية للأراضي التي تتركها لهم .

وصف أحد رجال القانون الفرنسيين هذه السياسة بأنها: (طريقة اغتصاب ،فيها يقال للأهالي: بأنهم مستفيدون فقط ،سلموا حقوقكم في الأراضي التي تحتاجونها للدولة والدولة تعترف لكم بدلا منها بملكية مساوية لما تسلمون).

وقد كانت لهذه السياسة نتائج وخيمة على القبائل التي فتحت باب الهجرة خاصة إلى تونس كما كانت تقوم بحرق الغابات كوسيلة للتعبير عن الرفض بالإضافة إلى القيام بالثورات من اجل استرجاع أراضيهم.

وفي هذا الشأن أشار الجنرال ميسيات (maissiat) إلى السلطات العليا قائلا: (هناك عشائر برمتها من قبائل قد جردت تماما من أراضيها كما كانت هناك رغبة شديدة للهجرة نحو تونس من طرف الأهالي.

كما أوضح احد تقارير المكاتب العربية سنة 1858 بما يلي في كثير من الجهات تفلح الأرض اليوم بنفس الأيدي السابقة، بأيدي الأهالي، مع فارق واحد وهو انه بدرا ان تكون هذه الأيدي هي المالكة لم تعد سوى أيد منتفعة....

رغم كل هذه المجهودات التي قامت بها المكاتب العربية في تدعيم الاستيطان، إلى ان المعمرين اعتبروا هذه المكاتب تقف كحاجز يمنع تقدمهم إلى الأقاليم العسكرية بهدف الحصول على أملاك عقاريه وهذا ما فتح باب الصراع منذ معارضه المكاتب العربية والمعمرين.¹

بدا هذا الصراع منذ معارضه المكاتب العربية للمعمرين المتطلعين للحصول على مزيد من الأراضي، هذه المعارضة تزايد يوما بعد يوم، وهذا ما جعل المستوطن الاقتصادي الصحافي ديفال ان يكتب قائلاً: تلك المكاتب أنها تعرقل السياسة المتبعة تبدي ثقافاً وكرهية لتنفيذ طلبات أي مسؤول على العمالة حين يلتبس منها ان تزيد في تضيق المجال الترابي، موضوع الحشر، وتسمح بإقامة المهاجرين الجدد في المساحات الشاسعة التي ينزه فيه العرب تراخيهم وكسلهم المعهود باعتبارهم شعب من الرعاة الرحل هذا هو السبب الذي أدى بالمعمرين إلى المطالبة بإلغاء هذه المكاتب²

عندما شعر الضباط بالخطر اظهروا الدفاع الشديد عن مصالح الأهالي، وذلك بهدف تبرير وجودهم وضرورة تسييرهم للبلاد، فكتب الضابط فييو قائلاً: ان الأهالي لا يملكون لا جرائد ولا هيئه انتخابيه. لقد كنا نحن المترجمين للمتطلباتهم وكذا لما يكبدونه من الأم،..... وذلك هو سر الأحقاد المتضافرة اتجاه المكاتب العربية، أو بالأحرى اتجاه الإدارة العسكرية.

كشف ضابط آخر وهو لاكروتال : ان الاستعمار كان قد انتزع من الأهالي أحسن أراضيهم، بل جردهم لذة التمتع بالحياة وكذا الدخول إلى ساحات المياه، لذلك لم يقدر العرب على المقاومة ضد الجفاف.³

من هذا المنطق اخذ ضابط المكاتب العربية يقودون معارضه شديدة وهجمة كبيره ضد الاستيطان لما أحدثه في نظرهم من طلق و إزعاج في أوساط القبائل.

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص15.

² - شارل رويبر اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1919م، ج1، المرجع السابق، ص7.

³ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص170.

كانت المكاتب العربية تريد من وراء هذه السياسة الاحتفاظ بنفسها بالسلطة في إدارة شؤون الأهالي، لذلك وقفت في وجه المعمرين لان مطالبهم تقف في وجه طموحاتها، وبهذا كتب لآبا ستيقول: ان القوه تعمقت بين المعمرين والأهالي، سيأتي اليوم الذي تملا فيها في حين كتب لأكروتال قائلا: ان العرب يسير شيئا فشيئا نحو الانقراض النهائي نتيجة احتكاكها بالأوروبي.....¹.

وحول هذا الصراع سال ذات يوم نابليون الثالث ماكماهون : اشرحوا لي لماذا المعمرين يكرهون إلى هذا الحد المكاتب العربية؟ فكانت إجابة ماكماهون: مولاي، ان السبب الذي يجعل المعمرين يكرهون المكاتب العربية، مثل السبب الذي يجعل الرجال التهريب يكرهون الجمارك....² فقد اتهم المعمرون المكاتب العربية بتأخير عملية الاستيطان وكذا معارضهم لقانون السيناتيسكو نسيلت الصادر بتاريخ 23 ابريل 1863م والذي كان يرمي إلى إنشاء الملكية الفردية

ظلت المكاتب العربية محط انتقادات وهجمات جديدة من طرف المعمرين حيث استغلوا حادثه الضابط دوانو رئيس مكتب تلمسان الذي شغل قبل عام 1856 رئيس مكتب عنابه والتي يتمثل في اتهامه باغتيال اغابني عبد الله .

فقد استغل المعمرون هذه الحادثة لصالحهم حيث قالوا: لقد سجلنا حادثه سريعة وقعت بين تلمسان ووهران لا تعود مسؤولياتها إلى قطاع الطرق من الأهالي ولا إلى مجموعه من الأشرار الأوروبيين وإنما ترجع إلى احد ضباط المكاتب العربية وهو النقيب دوانو الذي كان يريد منع ذهاب احد رؤساء الأهالي إلى وهران لان ذهابه إلى هناك، كان يستطيع بشكواه ضده ان يؤثر على تقدم دوانو في رتبته، فخرج دوانو ليلا مدعما برجاله الذين يخضعون لأوامرهم وذلك لقطع الطريق أمام الأغا، حيث انتهت المواجهة باغتيال الأغا ومترجمه واحد المفاوضات من ذوي السمعة العالية بالجزائر العاصمة، كان يوجد معهم في العربة. وإذ كان

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص174.

² - شارل رويبر اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871.1919، ج1، المرجع سابق، ص43.

المجرم الحقيقي يستحق الإعدام، فانه لم يجد في رتبته من الدعم كضابط في المكاتب العربية ما يسمح له ذلك الدعم بمواجهه الرأي العام بالحرية.....¹

أحيل النقيب دوانو على مجلس القضاء بوهران، حيث حكم عليه بالإعدام في شهر أوت 1857م، لكن لم ينفذ هذا الحكم، إذا حضي بالإعفاء في شهر نوفمبر 1859م .

كما خاطبت صحيفة الصادرة بوهران في 9 نوفمبر 1870م: إليكم أيتها المكاتب العربية يا محرضي العرب على العصيان أوجه هذا الكلام، واتهمكم بخيانة الوطن بسبب ما رأى من دسائسكم ومكائدكم وحسب وارني أن سبب الخيانة يعود إلى إنتاجهم سياسة مضادة للمصالحة الوطنية، كما أشارت نفس صحيفة ان ضباط المكاتب العربية أعداء طبيعيين للمستوطنين حيث قالت ان شعارهم كان: يهلك الاستيطان خير لنا من زوال هيمنتنا! ولهذا نستنتج ان ضباط المكاتب العربية لم يستطيعوا إخضاع الأهالي إخضاع كلي لإرادتها، كما أنها لم تستطع الوقوف أمام إجماع المعمرين التي تزيد يوماً عن يوم من اجل الوصول إلى السلطة.²

المبحث الثاني: الدور الإداري للمكاتب العربية .

هدفت فرنسا بعد استكمالها للاحتلال المعنوي، وبعد الانتهاء من الاحتلال المسلح إلى توظيف القضاء والعدالة الفرنسية فوكل الضباط المكاتب العربية مهمة الاطلاع على كل ما يتعلق بالأهالي، من ذلك دراسة الشريعة الإسلامية لأغراض استعماريه، وفي هذا يقول الضابط شارل ريتشارد- رئيس مكتب الأصنام_ في كتيب روح التشريع الإسلامي ما يلي ان هدفي من خلال دراسة الشريعة الإسلامية تبيان قدر الإمكان المغزى الحقيقي للقانون الإسلامي الذي كما كان معروف، صورته مطابقة للشريعة الإسلامية، ثم البحث كيف يمكن استخدام هذا القانون الذي جعل من هذا الشعب يكن لنا اشد العداوة- نحن النصارى- لصالح فرض سيادتنا عليه.³

¹ - المرجع نفسه، ص313.

² - شارل روبرير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، المرجع السابق، ص 44.

³ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص127

وفي تصريح الجنرال دي غيدون الذي يشير فيه إلى ان هدف النظام الاستعماري محي القضاء الإسلامي أو إضعافه فقال: على القاضي المسلم ان يتتحي أمام القاضي الفرنسي إننا نحن الغزاة ونعرف كيف نفرض إرادتنا.¹

كان قضاة المكاتب العربية مكلفين تحت وصاية تلك المكاتب العربية بالبت في جميع ما يعرض عليهم من قضايا في الإرث والزواج والطلاق أي كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية.² كما كانت المكاتب العربية تتمتع بمشروعيه معاقبه الأهالي بغرم يتراوح من 1 إلى 15 فرانك وبالحبس من 1 إلى 5 ايام لا تصل إلى حد الجرائم والجرح كالمشاجرة والخصام أو التهاون في دفع الضريبة أو رفض الامتثال للأوامر.³

ويعترف تقرير احد المكاتب العربية في مقاطعه الاوراس بأن جميع القضايا كانت توكل إلى الضباط ويتولون دراستها والبحث عن الحل الأقرب إلى القسط والى العدالة الطبيعية ثم يشيرون بها للقضاة الذين يتكفلون بمهمة تقديم حيثياتها بنصوص قانونيه، ومعنى هذا ان مهمة القضاة لم تكن إصدار الحكم وإنما إيجاد النصوص المساندة للإحكام التي يفرضها ضباط المكاتب العربية حيث كان هؤلاء الضباط يعتبرون أنفسهم أوصياء على الشؤون القضائية، حيث كانوا يستقون أحكامهم من القانون الفرنسي، وقد كانت هذه القرارات تؤثر على القضاة الذين كانوا متهمين بالغش وقبول الرشوة وهذا ما جعل من الفرد الجزائري حذر من العدالة الرسمية.⁴

وقد عمل ضباط المكاتب العربية على بسط نفوذهم على الأهالي بشكل كبير من خلال استقطاب القضاة الجزائريين، فكان من ابرز هؤلاء القضاة محل اهتمام من طرف ضباط هذه المكاتب، فهو القاضي محمد الشاذلي القسنطيني⁵، فقد بدا هذا الأخير البحث عن العمل منذ

¹ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 217

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 218.

³ - شارل روبيير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1919 - 1871، ج1، المرجع سابق، ص 313.

⁴ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 218.

⁵ - محمد الشاذلي القسنطيني: من مواليد سنة 1222 هـ الموافق ل 1807 بقسنطينة، اسمه الكامل محمد بن الحاج محمد ابن إبراهيم بن احمد الصدلي، ولكن قام أهل قسنطينة باختصاره فدعوه بمحمد الشاذلي قسنطيني، كرس حياته في الدراسة والعلم على يد مشاهير علماء

أواخر عام 1843م، وهذا ما جاء في رسالة كتبها السيد لاجير إلى الضابط بوسوني مسؤول عن المكتب العربي في قسنطينة حيث قال: أنا الشاذلي قد طلب منه وظيفة حكومياً كأستاذ لغة عربيه في باريس أو أمام جامع سطيف، وان الشاذلي اشترط ان يدفع له أجره من خزينة المستعمرات وبالفعل حصل الشاذلي على وظيفة قاضي مالكي في قسنطينة، وبدأت أثاره كقاضي تظهر منذ شهر جويلية 1844، حين شكى بعض الأهالي من حكمه وكانت محكمته في قصر الحجاج احمد باي السابق وكان¹ مساعداه في مهمة المكى بن بأديس جد الشيخ عبد الحميد بن بأديس، ومحمد بن عزوز، وكلاهما أصبح قاضيا بعده².

احد التقارير الفرنسية من إمضاء النقيب سادي رئيس الشؤون العربية 1848 بمدينة

قسنطينة ان تواطؤ محمد الشاذلي مع الفرنسيين قد جعله منبوذا من مجتمعه الذي صار يحقّره، ولم يعد يحتكم إليه أفراد الناس³ بعد الدوق دومال حاكم إقليم قسنطينة، بعض أعيان الإقليم إلى زيارة فرنسا، فسافر إلى هناك ثمانية منهم محمد الشاذلي خلال شهر ديسمبر 1844م، فاستقبلهم لويس فيليب ووزع عليهم الأوسمة وأعطى كل منهم (عطية تليق به)⁴ خلال هذه الزيارة التي قام بها الشاذلي أطلعته بوسوني على مراكز تعليمية وثقافية وقضائية من بينها أكاديمية الآداب والفنون الفرنسية فكان موضوع الجلسة دور الحضارة المنتصرة ومحاولتها نشر الآداب والفنون في مهد الانبعاث الأول بمعنى الاستعمار عن طريق الحضارة وكان بوسوني يجلس إلى جانب الشاذلي ويترجم له تدخلات المناقشين وعروضهم. كما ان الشاذلي تردد على المكتبات وبالأخص المكتبة المالكية، كما حضر بعض جلسات البرلمان الفرنسي أثناء مناقشه ميزانيه الجزائر أو بعض المشاريع الأخرى المتعلقة

قسنطينة، فقرأ الفقه والحديث واللغة والآداب والخطابة والحساب، تولى عدة مناصب منها القضاء وإدارة مدرسه سيدي الكتاني، وضل على رأس إدارة هذه المدرسة إلى ان وفته المنية سنة 1877م.

¹ - أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، المرجع السابق، ص 35

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 132.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، المرجع السابق، ص 38.

بها، وفي هذه الزيارات تخلى الشاذلي حتى على لباسه المحلي وارتدى لباس المشاركة في باريس..¹

ويشير أبو القاسم سعد الله بان محمد الشاذلي بعد عودته إلى الجزائر عام 1847م، مقاطع مراسلاته مع بواسوني الذي ظل بفرنسا، بل كانا على صلة وطيدة ببعضهما وهذا ما تثبته مراسلات الشاذلي.² ولا ينطبق مثال الشاذلي القسنطيني على جميع القضاة الجزائريين، فوجد على سبيل المثال المفتي ابن العنابي الذي ظل وفيًا لوطنه وظل يكافح من أجله فمئذ الوهلة الأولى بالاحتلال الفرنسي طلب منه حسين باشا ان ينادي في الناس بالجهاد ويجمع كلمه الجيش المتفرق، فعل ذلك بعد فوات الأوان فبقي في داره يخطط إلى ان جاءه قرار النفي من قبل كلوزيل الذي تقطن له فنفاه إلى الإسكندرية بسرعة في سبتمبر 1830م³ وتعود أصول هذا التوتر حينما اجبر كلوزيل المفتي على تسليمه بعض المساجد في المدينة لجعلها مستشفيات للجيش متعهدا له باستعمالها مده شهرين اثنين فقط. وكان ابن العنابي شديد النقد للسلطات الفرنسية على خرقها للاتفاق الموقع بين الداوي حسين باشا والكونت دي برمون وكان يكتب بنقده ولومه إلى الجنرال كلوزيل.⁴

فذاق هذا الأخير ذرعا بجرأة المفتي فقرر وضع حد له فألقى عليه رجال الدرك القبض وقادوه إلى السجن وتعرض أسرته خلال ذلك إلى المهانة، وكانت التهمة التي وجهت إليه هي تدبير مؤامرة ضد الوجود الفرنسي وإعادة الحكم الإسلامي العثماني للجزائر وتروي المصادر الفرنسية ان المجندين قد وشوشوا أذن كلوزيل بان المفتي الحنفي للمدينة الجزائر رجل خطير على الوجود الفرنسي وان له تأثير قوي على أهل البلاد، أما حمدان خوخة فيفصل الحادثة حسبما رواها له المفتي في ما يلي: جاء الترجمان إلى منزل ابن العنابي وطرح عليه بعض الأسئلة تتعلق بمكانته في البلاد وخططه المستقبلية من ذلك

¹ - المرجع نفسه، ص 41.

² - المرجع نفسه، ص 45 .

³ - ابن العنابي: اسمه الكامل هو محمد ابن محمود بن حسين الجزائري، وابن العنابي هي شهرته وشهره جده حسين بن محمد العنابي، تلقى علومه على يد والده وجده ثم على يد المفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الأمين، تقلد عدة مناصب هامه بالدولة وما ساعده على ذلك منزلته العلمية بالإضافة إلى مكانه أسرته المرموقة توفي بالإسكندرية سنة 1267هـ الموافق ل 1851م.

⁴ - وزاره المجاهدين، منطلقات وأسس، المرجع السابق، ص 198.

ان الترجمان أخبره بأن كلوزيل ينوي الجلاء عن الجزائر وتسليم الحكم له وسأله ماذا كانت لديه القدرة على تنظيم جيش والدفاع عن البلاد فأجابته المفتي بان ذلك في استطاعته إذا اقتضى الأمر ثم سال الترجمان هل جيشه سيكون

من داخل البلاد أو من مدينه الجزائر وحدها فأجابها المفتي بأنه سيجهب جيشا يبلغ ثلاثين ألفا من كل أهل البلاد، وكان الترجمان قد أخفى حسب هذه الرواية شخصين ظلا ينصتان لهذه المحادثة ليكون شاهدين ضد المفتي .¹

فأمر كلوزيل بنفيه فورا ولم يمهلها، رغم انه كان صاحب أسرته وأطفال وأملاك وديون وغيرها مهله معقولة لتصفيه هذه الأمور قبل مغادره البلاد .

وهذا الجانب الإنساني هو الذي جعل حمدان خوجة يتدخل لدى كلوزيل لصالح المفتي، فقد رجاه ان يمهلها حتى يبيع أملاكه ويصفي ديونه ويسفر أسرته ولم يحصل له خوجة على مهلة عشرين يوما إلا بصعوبة كبيرة ،وبعد انقضاء ذلك الأجل رحل ابن العنابي إلى الإسكندرية .² ويشير صالح فركوس إلى أن ضباط المكاتب العربية قد سجلوا حالات تمرد وعصيان من طرف بعض القضاة على السلطات الفرنسية ، فعلى سبيل المثال قاضي مكتب عنابة محمد الغزولي الذي كان أحد القضاة المعارضين للاحتلال الفرنسي ،فجاء في أحد التقارير:....(أن حقه تجاه كل شيء يحمل اسم فرنسا، جعل منه دوما لا يقترب من إدارتنا أي إدارة مكتب عنابة .) كما كان قاضي أولاد خيار بسوق أهراس سي احمد الصالح الخياري ناقما على المحتل فقد كتب مكتب سوق أهراس حول هذا القاضي مايلي : (أنه ليس فقط عدو لنا من الناحية السياسية ،ولكن ظل على اتصال مستمر بالتمرديين علينا...كما لا يخفي حقه اتجاه كل نصراني). وهكذا فإن القضاء لم يكن سوى وسيلة من الوسائل الاستعمارية لبسط الهيمنة الفرنسية في مختلف أنحاء البلاد ،وكذا وسيلة لتنظيم شؤون الأهالي تحت وصاية المكاتب العربية.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775 - 1850)، شركة وطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص33. وينظر أيضا حمدان خوجة، المصدر السابق، ص260

² - المرجع نفسه، ص 35، وينظر أيضا حمدان خوجة، المصدر السابق، ص261

ولكن لم يكن القضاء وحده وسيلة لتنظيم إدارة الشؤون الأهالي، فقد اعتمدت الإدارة الفرنسية على الضريبة تحت وصاية المكاتب العربية، فقد كان المكتب العربي هو الوحيد الذي يشرف على جباية الضرائب ويبحث عن المادة أو العينة العقارية أو غيرها التي يمكن ان يفرض عليها الضريبة وهو وحده كذلك الذي كان يطالب بزيادة الضريبة أو الإعفاء منها، حيث كان يعد كل الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع. وقد كانت عملية جباية الضرائب تتم من طرف رؤساء الأهالي، تحت رقابة المكاتب العربية، حيث تقوم هذه الأخيرة بإرسال المبالغ المستخلصة من الضرائب إلى الخزينة العامة¹

حيث كانت ميزانية الخزينة الفرنسية تستمد مواردها من جباية الضرائب، وفي هذا الشأن يقول شارل ريتشارد: ان الضريبة التي كانت المكاتب تستخلصها من القبائل، تشكل ثلث ما ينبغي ان يكون بالنسبة لثروات الأرض، غير أنها كانت تثقل كاهل الفقراء الذين كانوا يتحملون الجزء الأكبر منها.

كانت الضرائب شديدة التنوع ومنها: العشور (الضريبة على المحاصيل) والزكاة والحكر واللزما ويضاف إلى هذه الضرائب شتى الغرامات مثل جباية الحرب وغيرها مما دفع المجتمع الجزائري إلى الفقر والبؤس، في حين كل المعمرون ينتفعون بها من اجل تحسين معيشتهم.²

وبالرغم من انتشار المجاعات والأوبئة والجراد بالإضافة إلى الجفاف، فان الإدارة الفرنسية ظلت تستخلص الضرائب، حيث كتب الكولونيل ديرو في عام 1852م مايلي: لقد تمثل دورنا، الى حد اليوم، في التمسك الشديد بالضريبة التي وجدناها سارية أثناء احتلال البلاد.³

ويثبت تقرير لاحد في باتنة عن استخلاص الضرائب في السنوات العجاف، حيث يقول: أنهم يسددون ضريبة الحكر بالكامل رغم ما أصابهم من خراب بسبب الجراد.⁴

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص131

² - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ص 233

³ - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1910، ج1، المرجع السابق، ص461

⁴ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص236

كما أكد احد الضباط في تقرير فيفري 1850 (ان القبائل في حالة عجز عن وفاء بالتزاماتها الضريبية بسبب الفقر المدقع الذي آلت إليه معيشتهم ،بسبب الخراب الذي خلفته عمليات الغزو التي تقوم بها)،ويذكر تقرير آخر صدر في شهر ماي 1850م (ان الحصاد سيكون منعما تقريبا في السهل وفي بلزمة الاوراس ويمكن القول بأننا على أبواب سنة من القحط¹

وبالرغم من هذه الحالة المزرية للأهالي كان ضباط المكاتب العربية يفرضون مبالغ أكثر من التي ينبغي ان تكون ،من اجل اخذ الفرق لهم ،ومثال ذلك نموذج دائرة القالة عام 1846م.²

القبائل	حصّة الضريبة		القيمة المستخلصة		القيمة النقدية المتبقية
	جدة ³	القيمة النقدية	جدة	القيمة النقدية	
أولاد بكري	141	775,7ف	141	7.755ف	27جويلية

¹ - المرجع نفسه، ص 238

² - صالح فركوس ، المرجع السابق، ص 114.

³ - وهي وحدة فلاحية في قسنطينة في الجزائر زوجة والسقة في وهران، وتعني في ذات الوقت وحدة مساحية ووحدة جبائية

شعابنة	132	7.260ف	132	7.260ف	26 جويلية	
بني عمار	110	6.050ف	106	5.830ف	02 اوت	220ف
أولاد دياب	70	3.850ف	106	5.830ف	02 اوت	220ف
سبع	43	2.365ف	22	1.210ف	27 جويلية	1.155ف
المجموع	496	27.280ف	434	23.870ف		3.410ف

ويمكن تفسير هذا المثال أكثر حيث إذا كان من المفروض استخلاص من 7 إلى 18 آلاف فرنك، فهي تصل إلى 40 فرنك يتقاسمها ضباط المكاتب العربية ورؤساء الأهالي¹. هذه الضرائب زادت من سيطرة الإدارة الفرنسية على القبائل الجزائرية وجعلتها تتحكم أكثر في الأهالي .

المبحث الثالث: الدور التعليمي والثقافي للمكاتب العربية .

بعد تنظيم إدارة شؤون الأهالي، جاءت التعليمات الرسمية الصادرة عن حكام الجزائر والتي تنص ان اية الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتهم هناك

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص144.

قومية والعمل الجبار الذي يترتب على ضباط هذه الإدارة هو: السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدرج إلى ان تقوم مقام اللغة الدارجة بينهم .
وقد جاء في تقرير آخر لسنة 1849م: لا ننسى ان لغتنا هي الحاكمة ،فان قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحة هذه اللغة ، وبهذه اللغة يجب ان تصدر بأعظم ما يمكن بسرعة جميع البلاغات الرسمية ،وبها تكتب جميع العقود وليس لنا ان نتنازل عن حقوق لغتنا فان أهم الأمور التي يجب ان يعتني بها كل شيء ،هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا ،وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين..¹

وبذلك نفهم ان دور المكاتب العربية وكان يتمثل في إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية فقد كان رؤساء هاته المكاتب يرون بان :المساجد والزوايا ،إنما تتخرج منها عناصر متعصبة معادية للسلطة الفرنسية ،فالدين هو جوهر هذه المسألة في تفكير هؤلاء ذلك ان الطالب والعالم والمرابط والزاوية كانوا يترجمون المثل الديني ،كما كانوا يحظون في وسط المجتمع المسلم بمكانة متميزة ،نظرا للدور الذي يلعبونه في توعيتها وتعبئتها ضد العدو² وقد كان النقيب ريتشارد وغيره من ضباط المكاتب العربية يرون بأنه :عندما تصبح المدارس القرآنية هباء منثورا تذر الرياح ،ويتحول الشعب العربي إلى جهالة العصور الأولى ،فعندئذ من الممكن تلقينه شيئا مفيدا.³

قامت السلطات الفرنسية بحصر التعليم في المدارس الفرنسية ،وذلك بهدف تكوين فئة جزائرية مثقفة ثقافة فرنسية ،ولذلك طلبت من الأعيان والطبقة البرجوازية ان يرسلوا أبناءهم إلى فرنسا من اجل التعليم ،وبهذا يقول حمدان خوجة :وبهذه المناسبة جمع السيد شيخ البلدية المجلس البلدي وكنت عضوا فيه لتهنئة الجنرال كلوزيل بالعودة سالما وعلى اثر هذه الزيارة اخبرنا بالتقارير التي وصلته وقال بأنه :عمل راحته وللتدليل على الثقة للحكومة

¹ - راجع تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر 1981، ص108.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 269.

³ - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919م، ج1، المرجع السابق، ص584.

الفرنسية يجب ان نجمع على الأقل (50 طفلا) من أبناء الأعيان ليرسل والى فرنسا ليتعلموا اللغة¹

في عهد الجنرال بيجو عيد الطرح هذه الفكرة ولكنه سرعان ما تخلي عنه خوفا منه من مقاومه الأهالي، فطرحه فكرة جديدة تتضمن تقديم الدراسة في الجزائر (بكيفية تسمح لهؤلاء من النقاط إلى سر تأسيس الإسلامي فيصبحون قادرين على توالي حكم الأهالي) وبالفعل تمت الموافقة على هذه الفكرة لكنها لم تطبق بسبب مقاومه الأمير عبد القادر.² وبوصول نابليون الثالث³ إلى الحكم في فرنسا، برزت سياسته بالنسبة للأهالي، والتي اعتبر فيها الجزائريون المواطنين الفرنسيين ضمن المملكة العربية حيث قال: ان الجزائر ليست بلادا مستعمرة بالمعنى العام المفهوم من هذه الكلمة، بل هي مملكة إمبراطورية على الفرنسيين، وأريد ان استفيد من شجاعة العرب وشهامتهم، على ان استغل فقرهم بؤسهم⁴ فكان نابليون يهدف إلى تكوين جيلا متفتح على الثقافة والحضارة الفرنسية فبدأت في فتح أبواب التعليم الفرنسي من خلال إنشاء المدارس العربية الفرنسية وفق المرسوم الرئاسي الصادر في 14/7/1850م، في المناطق المهمة بالسكان، وهي مدارس ابتدائية أين تدرس اللغتين الفرنسية والعربية تتألف من المدير الفرنسي ولا له نائب . وكان الغرض الأساسي من إنشاء هذه المدارس الذات طابع سياسي أكثر منه تثقيفي، أوضح احد الفرنسيين عام 1861م الغرض من هذه المدارس: من نشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين عن طريق المدارس المختلطة، عربيه الفرنسية، هو القضاء على المدارس العربية الإسلامية الخاصة والحره.⁵ وصل عدد هذه المدارس في بدء الأمر إلى 6 مدارس ثم ازداد إلى ان بلغ 38 مدرسه سنة

¹ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص217.

² - شارل روبيير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871م، ج1، المرجع السابق، ص584 .

³ - نابليون الثالث لويس نابليون 1873 انتخب سنة 1848 كرئيس الجمهورية في فرنسا أدى اليمين الدستوري سنة 1850، أيد بريطانيا وتركيا في حرب القرم سنة 1854 ضد روسيا، حضر افتتاح قناة السويس عام 1869م، استسلم في حرب 1870 ضد بروسيا في معركة سيدان وبذلك سقطت الإمبراطورية، اعتزل السياسة وعاش في انجلترا وتوفي بها في 09 فيفري 1873.

⁴ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص52.

⁵ - المرجع نفسه، ص54.

1861م وكانت تشرف على حوادث 13 ألف الطفل الجزائري، وقد اعتبرت أحسن سنوات تعليم الجزائريين، لكن في الحقيقة الأمر قد عرفت هذه المدارس انتعاشها في عهد الحاكم العسكري¹ وفي هذا قال الدوق دومال: مدرسه واحده وسط الأهالي مفعول لا يساوي مفعول كتيبه عسكريه في عمليات بسط الأمن في البلاد²

ثم بدأت تسير نحو الزوال والاندثار منذ وضعها تحت إشراف البلديات للإشراف عليها، معمول بها لفرنسا، ورفضت هذه البلديات أيه إعانات للمدارس، وهذا ما أدى إلى غلقها شيئا فشيئا في المدن، البلية مليانة... اورليانفيل الأصنام، وما بين 02 ماي 11 ماي 1866 مصدر مرسوم حكومي نص على وضع المدارس العربية الفرنسية تحت مسؤول البلديات في المناطق المدنية، وأدرجت في حساب الإضافي للضريبة العربية العسكرية، وقد وجدت رفضا تاما من طرف البلديات بتقديم أي م الموجودة في منطقته اورليان ساعدات لهذه المدارس بدعوة وجود المدارس المختلطة والتي يستطيع الأهالي الالتحاق بها . إلا ان هذه المدارس شهدت نفورا نفور الأهالي منها، ومن هنا بدأت تعيش مرحله الافول والزوال وهذا ما لاحظته ياكونو بقوله: المدارس العربية الفرنسية الثلاث موجودة في منطقته اورليان أسستها المكاتب العربية الحكم العسكري نزل عدد تلاميذها إلى الصفر سنة 1869 بعد ان كان هذا العدد 110 تلميذا، وذلك عندما أصبحت القبائل تحت سلطه القضاء المدني،³ والعامل الآخر هو رفض الجزائريين الالتحاق بهذا النوع من المدارس لأنه يوفر تعليما ضعيفا عم هو موجود في الزوايا وخوفا من تأثيرها على شخصيتهم وأبنائهم خاصة بعد افتقارها للمدرسين الجزائريين الذين رفضت البلديات إعطائهم مستحققاتهم بدعوة قلة الموجهة لهذه المدارس.⁴

وأمام هذه الوضعية السيئة وهجرة التلاميذ للمدارس العربية الفرنسية لم تجد الحكومة العامة

¹ - عماره هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص110.

² - الدوق دومال، هو احد أبناء الملك الفرنسي لويس فليب، اشتهر بحقه على الأمير عبد القادر وهجومه على الزمالة العاصمة المنقلة لدوله الأمير في 16-05-1843، وهو الذي استلم جواد الأمير اثر استسلامه، خلع أبوه من الملك أثرى ثوره 1948م فرنسا، فخلع هو الآخر من الجزائر بالتبعية.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص55.

⁴ - عمار هلال، المرجع السابق، ص113.

سبيلا في إرجاعهم سوى إصدار مرسوم سنة 1859 والذي يقضي بتحديد الكتاتيب والمدارس القرآنية بقراءات ولأثية في كل مقاطعه وفي تقرير عامل عماله وهران إلى الحاكم العام في هذا الموضوع قال: للوصول إلى رفع عدد التلاميذ المدارس العربية الفرنسية هناك إجراء واحد هو القضاء كليا على الكتاتيب الموجودة في المدن حيث يكون بالإمكان تأسيس مدارس عربيه وفرنسيه.¹ وما تجدر الإشارة إليه هو ان هذه المدارس كانت تحضر بمسانده المكاتب العربية إلى غاية سنة 1865 ورغم ان تطور هذه المدارس كان محدودا جدا إلا ان ضباط المكاتب العربية بذلوا جهودا من اجل التغلب على الأفكار الراسخة في المجتمع النهائي إلا ان هذه الجهود باءت بالفشل وهذا ما دفع بالمدنيين إلى التأكيد بان الإكراه هو وحده الأسلوب الكفيل بضمان تردد على ذلك .

لمدارس في حين أكد الضباط العسكريين ان اختيار النهار في التصرف أحسن منها إلى استعمال القوه² حيث: كان الضباط العسكريون ممثلين في المكاتب العربية يرون في توزيع الملابس والإعانات المادية للتلاميذ وتقديم بعض التشجيعات إلى المتفوقين كاس استدعائهم مع أوليائهم لحضور الحفلات وغيرها عامل من العوامل النجاح المدرسة العربية الفرنسية بين السكان، أما المدنيين فكانوا يرون ان على ان القوه والمضايقة هما وحدهما كفلان لضمان ذهاب التلاميذ الجزائريين إلى هذه المدارس³ وكان ذلك بعد إنشاء أول معهد عربي فرنسي وفق مرسوم إمبراطور صدر في 14 - 03 - 1857 وفي 16-06-1865 فضل مرسوم آخر نص على تأسيس معهدين آخرين في كل من قسنطينة وهران، فقد طالب وزير التعليم العمومي ف. دوري بضرورة توجيه هذه المعاهد إلى الأعمال التطبيقية وليس النظرية فقد قال: ان تكون شخص عربي كيميائي، فيزيائي، ميكانيكي، أفيد من تكوين الفرقة من الوزارة.⁴ وتجد الإشارة إلى ان مجموع الطلاب المتخرجين من هذه المعاهد كانوا يتوجهون

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 56.

² - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1919م، ج1، المرجع السابق، ص586.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص54.

⁴ - شارل روبير اجيرون ، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1919م، ج1، المرجع السابق، ص592.

إلى الجيش أو إلى إدارة القبائل، أي العمل بالمكاتب العربية أعمال الإدارية الأخرى¹ وبموجب مرسوم 30-09-1850م انشأت فرنسا ثلاث مدارس إسلامية في تلمسان والجزائر العاصمة وقسنطينة² وقد أشار راوندون الهدف من إقامة هذي المدارس الحكومية فقال: فمن هذه المدارس يتخرج الموظفون الإداريون والقضاة وبكلمه أنهم الشخصيات والعناصر التي لها تأثير على السكان حتى لا يفلتوا من قبضتنا. والمرسوم في شكله يتضح انه سياسي بالدرجة الأولى، حيث يعطي جميع الصلاحيات لوزير الحربية وقادة المناطق في تعيين الموظفين بعد اقتراح الحاكم العام، وكذلك خضوع هذه المدارس للمراقبة المستمرة للعسكريين في المناطق التابعة لهم تحت غطاء المكاتب العربية لذلك سيتحدد موقف الأهالي منها وهو الرفض لأنها لا تعد ان تكون عبارة عن وسيلة لتمير مناهج وثقافة بعيده عن النوايا الصادقة في تعليم الأهالي والفرع من مستواهم وقد جاء في هذا المرسوم ما يلي: المادة الأولى: التعليم سواء كان ابتدائيا أو ثانويا، المقدم في المدارس الإسلامية موضوع تحت الرقابة العليا للحاكم العام، عبر حكام المقاطعات المختلفة أما المناطق العسكرية فإنها من اختصاص العسكريين المادة الثالثة: تأسس على حساب الدولة في كل من مدن المدينة وتلمسان وقسنطينة مدرسه عليا من اجل تكوين مترشحين للوظائف المرتبطة بمصالح العبادة العادلة تعليم العام للأهالي والمكاتب العربية. المادة الثامنة: توضع المدارس العليا تحت رقابه الضباط قاده المقاطعات، هذه الرقابة تمارس بواسطة المكاتب العربية³ كانت المكاتب العربية تهدف من وراء هذه المدارس إلى تكوين فئة هدفها المساعدة على إخضاع الشعب في المرحلة الثانية، التي تأتي بعد التردد بحيث تكون هذه الفئة عبارة عن وسيط بين هذه المكاتب والأهالي وتساهم في تسيير القطاعات الدينية والعبادة مثل المحاكم الإسلامية والشؤون الأهلية والمساجد، ولهذا جاء عمل هذه المدارس مثلما أوضح احد ضباط المكاتب العربية على: طريقه تشكيل الأهالي على نسق عاداتنا وتقاليدنا ولغتنا لا يكون عن طريق إنشائهم في مؤسسات خاصة لوحدهم¹. لقد اعتمدت السلطات الفرنسية على المكاتب العربية

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص54.

² - المرجع نفسه، ص56.

³ - كمال خليل، المرجع السابق، ص72.

في إخضاع الأهالي تحت شعار: تنوير عقول الجزائريين وذلك بالتعامل معهم عن طريق فتح بعض المناصب لهم وتسييرها تحت مراقبه الضباط، كما كان الأمر بالنسبة لمحاولات تنظيم التعليم الذي تعدى هذه المرحلة إلى ان وصل إلى التنصير والإدماج.² ونتيجة لتماسك الجزائريين بدينهم، أدركت السلطات الفرنسية أنها ستفشل في سياستها ما لم تقضي على الدين الإسلامي الذي يعتبر الحصن المنيع للشخصية الجزائرية وهذا ما عبر عنه احد الفرنسيين بقوله: ان المسلمين إذا اعتنقوا الدين المسيحي فأنهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون إخواننا لنا إلا تتطلب سعادة هؤلاء الأشقياء هذه المحاولة؟ عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حد لها لهذا الغيظ الشنيع لطبائعهم وأخلاقهم والذي يمتاز به هؤلاء الذين يسيروهم القران³ وقد أدرك الحاكم العام المارشال فالي⁴ ان المسيحية يجب ان تقوم بدورها في إفريقيا وان فرنسا ستبقى أكثر في بلد ترفع فيه الصليب من رفعها العلم الفرنسي فقط. وعليه قام المارشال بنصب الصليب على كاتدرائية الجزائر، وقام بتحويل مسجد البليدة إلى كنيسة كاثوليكية يرفع عليها الصليب إعلانا بانتصار المسيحية، لذلك توالت عليه رسائل الشكر والتهنئة على هذا العمل وعلى مشاعره الدينية المتوهجة وعلى المساعدات التي قدمها وكذلك: لتتقيه المعابد من الخرافات العممية وتحويلها إلى كنائس لصالح المذهب الكاثوليكي حتى يقوم رجال الدين بواجبهم في نشر الإنجيل بحريه ونجعها⁵ ولقد سخرت الإدارة كل طاقاتها العسكرية لتحطيم الهوية العربية والشخصية الإسلامية وذلك عن طريق التعاون بعض قادتها والذين برهنوا بصدق عن تواطؤ كبير بينها وبين الكنيسة أمثال ماريشال فالي

¹ - المرجع نفسه، ص 100.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 283.

³ - كمال خليل، المرجع السابق، ص 43.

⁴ - سليفان شارل فالي 1837 - 1841 بيريانلو شائق انضم إلى الجيش الفرنسي كتلميذ ضابط في المدرسة المدفعية في شالون عام 1792 تخرج منها برتبة ملازم في 01_06-1773م، ثم رقي إلى رتبة نقيب وفي 08 - 09 - 1830 إلى الاستيداع، استدعي إلى الخدمة الفعلية عام 1834 وأخيرا الترقية إلى رتبة ماريشال في 11/11/1837 ثم عين حاكما عاما بصفه نهائيه على الجزائر في 01_12_1837 مارس هامه بهذه الصفة لمدة ثلاث سنوات وشهر و 20 يوما عاد إلى فرنسا في 20-01-1841 توفي 15_08_1846

⁵ - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 10_19.

والجنرال بيجو والنقيب لاموريسار والذي حول احد مساجد وهران إلى كنيسة، كتب إلى البابا قائلاً: لقد رأيت الآباء يعملون لقد أحببتهم، وقد علموني انه يوجد انتصار آخر فوق كل انتصار هو ذلك الذي ننتصر فيه للمسيح أكثر من أي انتصار لقهر العالم¹ ومن أهم الشخصيات التي لعبت دور بارز في عملية التنصير في الجزائر الكاردينال لافيغري الذي عين أسقفا في الجزائر التي وصل إليها يوم 15 ماي 1867 واعتبر ان الأساليب التبشيرية للكنيسة مملوءة بالمخاطر ولذلك يجب ان نعتمد تلك المشاريع على الأعمال الخيرية مثل إنشاء المستشفيات، مأوى الأيتام، إنشاء المدارس، تدعيم ثقافة المستعمر.

وركز كثيرا على ذلك حيث قال: الإحسان واللفظ والإخلاص والعدالة المنصفة ثم الحمية المتبصرة واليقظة، وهي الخصال التي فرضتها علينا العقيدة المسيحية هي القادرة وحدها على انجاز الأعمال التي فرضت بادئ الأمر عن طريق السيف² وقد صادف وصول الكاردينال لافيغري³ إلى الجزائر، وقوع مجاعة الستينات خلال عامين 1867_1868 والتي صاحبها خطر جراد الذي اتلف المحصولات في إقليم مجانية بين 1869_1870، وكذلك البؤس الاقتصادي والاجتماعي بانتشار المجاعة والأمراض والأوبئة مثل الكوليرا، التيفوس، وأصبح الناس يموتون بالجملة⁴ فانتهاز لافيغري هذه الفرصة وجعل الأطفال الذين فقدوا ذويهم جعلهم ينشئون على الدين المسيحي⁵ وبهذا فان الدور الثقافي الذي لعبته مؤسسه المكاتب العربية من خلال محاوله فرنسة الشعب الجزائري إلى غاية الثورة المقراني، فقد

¹ - المرجع نفسه، ص 20.

² - كمال خليل، المرجع السابق، ص46.

³ - الكاردينال لافيغري: من مواليد عام 1825 في باليون بفرنسا اهتم بالنشاط الكنسي منذ صغره انتقل إلى الشام وتعلم اللغة العربية وعادات وتقاليد المجتمع العربي عصر أحداث الشام عام 1860 والدروز ثم عاد إلى فرنسا حيث مارس عدة وظائف دينية أخرى ثم انتقل إلى الجزائر خلال سنوات القحط وكانت له أفكار ومواقف تتمثل في نشر المسيحية مهاجمه المكاتب العربية لأنها في تقديره تحافظ على التقاليد الاسلاميه ومن مواقفه مساندة النظام المدني ضد العسكري.

⁴ - علي بطاش، لمحاه عن تاريخ منطقته القبائل الحياة الشيخ الحداد 1871، ط3، دار الأمل، الجزائر، 2010، ص52.

⁵ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص71.

انتهت بتحطيم أكثر مراكز الثقافة والتعليم العربي الإسلامي في الجزائر، مما أدى إلى انتشار الجهل والامية بين الأهالي

المبحث الرابع الدور الاقتصادي للمكاتب العربية:

لقد كانت أعمال النهب والاستيلاء على الممتلكات ومصادر الأراضي هي ما تميز به النظام الاقتصادي الفرنسي بالجزائر تحت وصاية المكاتب العربية هذا النظام احدث تغييرا كبيرا في الإمكانيات التقنية للتكيف الأهلي وحتى في طريقه تفكيرهم. لقد كان ضباط مؤسسه المكاتب العربية يسعون إلى تجسيد الفلاح الجزائري في أرضه لخدمه المزارعات الصناعية الفرنسية فعلى سبيل المثال نشره زراعه القطن والدخان رافعين بذلك شعار: الفلاحة هي أولى مصالح الدولة. وفي هذا الشأن يذكر الضابط هيفونيت: في هذه السنوات الأخيرة 1846_ 1852 عملنا في كل مكان على زراعه القطن وخصص كل شيء من اجل تحقيق إنتاج كبير من القطن كما تم استخدام اليد العاملة من الأهالي و كما تم اختيار الأراضي المخصصة له .وفي إطار تشجيع زراعه القطن صدر مرسوم إمبراطوري في 16 أكتوبر 1853 يهدف إلى تشجيعها عن طريق استخدام اليد العاملة من الأهالي لصالح الأوروبي. كما ساءة الضباط إلى تحويل زراعه الحنة بمنطقه بسكره إلى زراعه صناعية لفائدة الدولة الفرنسية، كما حول نشر زراعه الدخان في كامل التراب الجزائري وقد ضاعفت مؤسسه المكاتب العربية نشاطها حيث قامت بحفر الآبار وبناء السدود ومحاولة شق الطرق وتطوير زراعه الحنطة والذرة بالإضافة إلى زراعه القمح والشعير وتشجيع استغلال الحدائق وغرس الأشجار وكروم العنب والدخان وكانت تلك المكاتب تفكر في إمكانية جعل زراعه السكر وخاصة القطن تتكيف مع مناخ القطر الجزائري كما اهتمت ايضا بتربيته الدواجن ساكن يبدو ان الشروط غير قادرة لتسمح ذلك لان الفلاح كان يتمثل في المحافظة على أراضيها وامتلاك الحبوب لكي تسمح له بالبقاء في حين كان اغلبه الأهالي يعانون من الجوع¹ ومن اجل تطوير اكبر للأساليب الزراعية للفلاح الأهلي، تم إنشاء المزارع التعليمية، وكذا توزيع أدوات الحرث، هذا ما جعل من المكاتب العربية تسهر على توزيع بعض المحارث الخفيفة وبعض الأمشاط والمناجل الكبيرة وتدريب الأهالي على استعمالها.²

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص206.

² - شارل روبر اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، المرجع السابق، ص674.

كما قامت هذه المؤسسة ببذل كل مجهوداتها من اجل الحفاظ وتطوير الثروة الحيوانية وذلك من خلال تزويد الأهالي والعلف والاصطبلات لحمايتها من الجوع والبرد، قصد الاستفادة منها لصالح الدولة الفرنسية¹، ففي هذا المجال عمل الضابط مسرين رئيس مكتب قالمة، من اجل توضيح أهمية الإجراءات المتخذة من طرف الحاكم العام والمتعلقة ببناء ألواح كبيرة قصد حماية المواشي، وكذا تزويدها بالعلف، وبذلك تأسست بعض الأكواخ في بعض الدوائر ومثال ذلك دائرة باتنة التي تم بها بناء 400 كوخا لإيواء الحيوانات، كما سجل تقرير مكتب باتنة ان احد ضباط هذا المكتب قد قام بالاتصال بالقبائل لجمع حوالي 600 قنطار من العلف حيث وضعت تحت تصرف القائد الأعلى للدائرة.²

كما أشارت هيئة المكاتب العربية إلى أهمية هذه الثروة الحيوانية وذلك بعد قيامها بعمليات الإحصاء في القبائل من اجل تقدير الضريبة في كل عام على تلك الحيوانات التي كانت كالتالي :

النوع	1852م	1853م	1854م	1855م
أحصنة	57.551 راسا	76.178 راسا	76.077 راسا	84.399 راسا
بغال	58.203 رأسا	73.150 رأسا	76.880 رأسا	74.703 رأسا
ابل	50.696 رأسا	63.222 رأسا	73.160 رأسا	81.434 رأسا
بقر	309.969 رأسا	367.657 رأسا	416.714 رأسا	426.715 رأسا
غنم	1.817.848 رأسا	2.378.960 رأسا	2.166.446 رأسا	2.534.469 رأسا
ماعز	709.046 رأسا	869.501 رأسا	1.377.141 رأسا	1.064.138 رأسا

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 209.

² - المرجع نفسه، ص 211.

أما عن المعاملات التجارية فقد كانت تقوم على أساس الثقة المتبادلة بين الأهالي ،وهذا¹ ما أكدته هيغونيت في قوله :بالنسبة لي لقد شاهدت دائما ان بين الأهالي ثقة كبيرة ونية خالصة في

معاملاتهم التجارية وهذا على عكس المعاملات بين الأهالي والمعمرين، لقد كانت الثقة تنعدم بينهم، فكان الأهالي دائما يتجنب المتاجرة مع الفرنسي لهذا أصدرت السلطات الفرنسية قانون 11 جانفي 1851 الذي ينص على تكسير الحدود الجمركية بين البلدين، وكذا إنشاء بنك الجزائر في أوت من نفس السنة، كما فتح هذا القانون المجال واسعا أمام فرنسا لتصدير منتجاتها الصناعية إلى الجزائر، خاصة منها المنتجات التي تخدم مصالح المعمرين، ولهذا فان المكاتب العربية أدخلت الجزائر في دائرة التجارة الفرنسية هذا الارتباط التجاري أدى إلى ظهور الربا، التي بلغت أقصى حد في استغلال الأهالي، وفي هذا الموضوع كان أول من ندد بعواقب التعامل الربوي هم ضباط المكاتب العربية، بحيث ان عملية الاقتراض كانت تتم من اجل دفع الضرائب أو من اجل توفير الحاجيات اليومية الضرورية للحياة .وقد تكهن الضابط لاباسيت بخطورة التعامل الربوي، حيث رأى بأنها ستؤدي إلى طرد الأهالي من أراضيهم، وهذه نفس المخاوف التي جاءت في الرسالة الإمبراطورية لسنة 1865م، تصرحت بان الاقتراض الربوي تعقبه المصادرة، وفي نفس المجال عبر الجنرال لاكورتال عن هذه الظاهرة بقوله: يجب ان تقتل الاقتراض الربوي أو يموت الشعب العربي ينبغي عليكم ان تختارا² كما عمل ضباط المكاتب العربية على مراقبه الأسواق الأهلية، وما كان يتم فيها من مبادلات تجاربه، وخاصة الحفاظ على تلك المبادلات لصالح السلطة الفرنسية ويشير احد الضباط إلى ان الفلاحون الأهالي فيما مضى يبحثون عن أسواق لبيع منتجاتهم بل كانوا يخزنون الحبوب في أهرام عندما تجود الأعوام بغلال وفيرة فيتخذونها ذخرا للسنين العجاف أما اليوم فأنهم يقومون بتسويق فائض الغلال ثم يستهلكون النقود في زمن المجاعة، وخاصة الأثرياء حيث أصبحوا أميل إلى بيع الغلال

¹ - المرجع نفسه، ص210.

² - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج1، المرجع السابق، ص677.

وادخار النقود وخاصة عندما ارتفعت الأسعار¹. القمح¹ وقد ضلت مؤسسه المكاتب العربية تراقب ارتفاع وانخفاض الأسعار قصد اطلاع سلطاتها العليا عن حاله الاقتصادية وانعكاساتها على الأوضاع الداخلية².

والسبب الذي كان وراء ارتفاع الأسعار هو الجفاف الذي أصاب البلاد حيث تضررت محاصيل القمح جفت السنابل قبل ان تمتلئ بالحبوب بالإضافة إلى مصادره الأراضي وفرض الغرائب والضرائب الباهظة³ وما زاد من الطين بلة انتشار الأوبئة الفتاكة بين الأهالي كالكوليرا والتيفيس وغيرها، بالإضافة إلى اكتساح الجراد للمزارع، حيث أصبحت كل المناطق المهدهدة بأفة الجراد التي أصبحت تسمى بريح الصحراء. هذه الآفات من الأوبئة والجراد إلى جانب المجاعة تهاكه كاهل السكان، ولم تتحرك مؤسسه المكاتب العربية ممثله السلطة الفرنسية ساكنا، من زادت الأهالي فقرا من خلال مطالبتها بدفع الضرائب ومواصله الاستيطان والإبادة الجماعية⁴ ذكرت بعض التقارير المكاتب العربية ان المحاصيل منعدمة في جميع القبائل باستثناء بعض القبائل الرطبة في قلب جبال الاوراس حيث تمكن الأهالي من حصد القليل من الحبوب والفواكه رغم قله المياه أما باقي المناطق فقط ساد الفقر والجوع إلى درجة ان البعض منهم اضطر إلى السطو على ممتلكات غيرهم من اجل العيش⁵. وقد برر التقرير الشهري الأول لسنة 1869 تطور عدد عمليات السطو والنهب واغتيال المسافرين بعبارة لقد تغلب منطق المجاعة الرهيب على طبائع الخنوع والاستكانة. بدأت الأزمة منذ سنة 1866 ولم تنتهي إلا في عام 1872 لان الآفات المتتالية حرمت البلاد من فرصة⁶ إعادة بناء نفسها ومن استعان ازدهارها بل قلصت من إمكانياتها ولهذا فان الحياة الاجتماعية لم تكن إلا عبارة عن صوره للحياة الاقتصادية ولم يكن دور ضباط المكاتب

¹ - المرجع نفسه، ص 674.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 220.

³ - عبد الحميد زوزو المرجع السابق، ص 249.

⁴ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 241.

⁵ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 252.

⁶ - المرجع نفسه، ص 259.

العربية فيها سوى رصد الخسائر وكتابه التقارير فكان من بين هذه الخسائر ارتفاع عدد الوفيات حيث أصبح داء الكوليرا وحده يحصد في اليوم الواحد 50 شخصا ثم ارتفع عدد الموتى إلى 92 شخصا إلى ان بلغ 175 شخصا حيث بلغ عدد الموتى بهذا الداء وحده 9760 شخص ما بين الفاتح من جويلية 1867 والفاتح من جانفي في 1868 في مدينه باتنة لوحدها فقد كان مظهر

الموت يظهر على السكان حيث أنهم استسلموا له، كما ان السلطات لم تتمكن من دفن العدد الرهيب من الجثث الموتى¹

أمام هذه الحالة السيئة للأهالي لم تقوم مؤسسه المكاتب العربية بأدنى دور إنساني، بل تركتهم يموتون جوعا ومرضا والأكثر من ذلك كانت تسعى للعمل على إخضاعهم بكل الوسائل².

فقد وصلت درجة الحرمان إلى أنهم لم يجدوا ما يقتاتون به حيث وصف لافيغيري هذه المأساة بقوله: منذ عده أشهر والعرب لم يجدوا ما يقتاتون به إلا الأعشاب في الحقول أو أوراق الأشجار التي يرعون فيها مثل الحيوانات، والآن مع شدة الخريف ضعفت أجسامهم فماتو جوعا فهم عراة يرتدون لباسا رثا يتسكعون ضالين على الطرق وحول المدن التي اخرجوا منها خوفا من الفوضى التي قد يتسببون فيها، فهم ينتظرون جمع النفايات والفواضل لصراع حولها فلا يرجعهم شيئا ويحفرون الأرض للقوت من الحيوانات الجيفة وهم يغيرون علف حيوان المعمرين الذين كانوا يحرسون حقولهم بالسلاح، والافضع في كل ذلك موت الكثير عبر الحقول وتناثرهم كل صباح دون حركة حياة.³ كما انتشرت بعض الأحاديث عن أكل لحم البشر فيقال أنه في سوق خنشلة التهمت امرأة من تبسة جزء من جسد طفلها، وفي بني أو جانة اقتات شاب وشابه من لحم أمهما وأختها طيلة عدة أيام من شهر ماي 1868.....⁴ كما نجم عن هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المزري انتشار الهجمات

¹ - المرجع نفسه، ص252.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص249.

³ - اندري نوشي واخرون، المرجع السابق، ص241.

⁴ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص254.

وبشكل كبير جدا، حيث كادت هذه الظاهرة ان تؤدي إلى عواقب وخيمة، وذلك بسبب هروب الأهالي إلى الخارج وتركهم المجال فاسحا أمام العنصر المسيحي.¹ كل هذه الأوضاع أدت إلى اندلاع العديد من الانتفاضات والثورات احتجاجا على الحالة التي آلت إليها البلاد، فكان الثورة المقراني أقوى هذه الثورات والتي استطاعت وضع حد لمؤسسه المكاتب العربية، التي كانت تقف كراصد فقط لهذه الأوضاع دون ان تقوم بأي دور في تغيير الوضع وتحسينه.

المبحث الخامس: نهاية المكاتب العربية .

قام رجال الاستيطان الأوروبي بضغط كبيرة على الحكومة الفرنسية لإجبارها على اتخاذ قرارات لصالحهم وخاصة بالنسبة للبلديات ذات الحكم المدني أو ذات الحكم العسكري، فالمستوطنون الأوروبيون لم يكونوا يسيطرون على أكثر من 69 بلدية حتى سنة 1869م، وبالتالي لم يكن في إمكانهم التسرب إلى المناطق الشاسعة التي توجد بها خيرات الجزائر، والشخصيات الجزائرية المتعاونة مع قيادة الجيش هي التي بقيت تحكم الريف الجزائري، وبما أن البلديات ذات الحكم المختلط تتشكل من الضباط والشخصيات الجزائرية التي يتم تعيينها من طرف الإدارة العسكرية، فان المستوطنين الأوربيين لا يحصلون على الضرائب العربية حيث إنها تبقى في البلديات الخاضعة للجيش والتي تتكون من 8 إلى 12 عضوا. ولهذا طالبوا ونجحوا في تحقيق أهدافهم وهي إلغاء المكاتب العربية وتحويل سلطتها وصلاحياتها إلى رؤساء البلديات المدنيين، وهذا التوجه للسياسة الاستيطانية الجديدة في الجزائر برز إلى الوجود بفضل المرسوم الصادر في 08 أوت 1868م الذي ألغى المكاتب العربية في الولايات.²

وما ساعد على إلغاء هذه المكاتب، اغتنام المعمرين فرصة اغتيال 27 جزائريا في قافلة تحت تصرف المكاتب العربية بواد محليوش بمقربة من الحدود التونسية، حيث وقع قتلهم من طرف العسكريين أنفسهم، وكانت الحكومة الفرنسية قد أكدت أن اغتيالهم كان عن خطأ لأنهم في الحقيقة كانوا يدعمون مؤسسة المكاتب العربية.³

¹ - المرجع نفسه، ص 249.

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 177.

³ - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 400.

كان ضباط هذه المؤسسة محل اتهام دائم من طرف المعمرين ،من ذلك أنهم كانوا يعملون على الزيادة من ثوراتهم على حساب الأهالي ،ومنها أيضا اتهام تلك المكاتب على أنها كانت تشجع على اندلاع الثورات المحلية حتى تظهر في الميدان بمظهر المنتصر.¹ فقد ذكر جول فافر بأن أحداث أولاد سيدي الشيخ كان سببها التصرف الطائش لرئيس المكتب العربي ،وأن المكاتب العربية نظام فاسد ،وقد أكد بأن إقامة النظام المدني هو المنقذ للمستعمرة .ولكي يدعم كلامه بالحجة أكد بأن المنطقة العسكرية لا يسود فيها إلا الجوع ،والفقر والاستبداد،والتعصب.²

وفي هذا السياق اعتقد المعمرون أن ثورة 1871م، إنما هي من افتعال ضباط المكاتب العربية بعد سقوط الإمبراطورية الثانية ،حتى يثبتوا لحكومتهم أنه بدونهم ستظل الجزائر في ثورة وحرب.

ولقد قيل عنهم : (أنهم كانوا يبحثون عن الفوضى بشن الغازات على القبائل دون أي مبرر ، وذلك من أجل الترقية).

وقد أوردت إحدى الصحف الفرنسية يوم 25 مارس 1871م قولها (لقد تحالفت المكاتب العربية مع الزعماء الأهالي للدفاع ،بالطرق الشرعية وغير الشرعية ،عن امتيازاتهم ونفوذهم ومستثمراتهم ، فلا هم فرنسيون ولا هم عرب وإنما هم تشكيلة سياسية).³

ولقد ازدادت حدة الاتهام وتحميل مسؤولية كل ما يقع في القطر الجزائري إلى تلك المؤسسة نحو محاكمتها وإبعادها مرة واحدة على الساحة ،خاصة بعدد إعلان جمهورية سبتمبر عام 1870م⁴، ونتيجة لضغوط المعمرين على حكومة الدفاع الوطني في تور صدرت قرارات 24 أكتوبر 1870م ،والتي كان عددها ثمانية وخمسين قرارا ،منها ستة وثلاثون قرارا تخص الجزائر ،وتنص على ثلاثة أشياء رئيسية هي :

¹ - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، المرجع السابق، ص43.

² - يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد عام 1871م، المرجع السابق، ص34.

³ - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، المرجع السابق، ص44.

⁴ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 412.

أولا: إلغاء النظام العسكري في كل إقليم التل ، وتحويل رؤساء الأهالي إلى معاونين بلديين وإلغاء سلطة المكاتب العربية ، والسياسة التقليدية للأهالي ، وتحميل ضباطها مسؤولية كل ما يحدث من اضطرابات وتشويش في مناطقهم السابقة.

ثانيا : إنشاء محاكم الجنايات وإخضاع الجزائريين المسلمين لها .

ثالثا : تجنيس يهود الجزائر البالغ عددهم حوالي ثلاثة وثلاثين ألفا بصورة جماعية.¹

وكان لهذه القرارات تأثير سيئ على الجزائريين الذين راو فيها خطر على مستقبلهم ومصيرهم ونظرا لحالة القلق والخوف هذه ، وكذا الشك الذي أصاب الجزائريين بسبب هذه الإجراءات ، جاء نداء كريمير² إلى الجزائريين في 14 جانفي 1871م.

ثم جاء يوم 10 نوفمبر 1870م المرسوم الذي جعل من الأراضي الخاضعة للحكم العسكري تابعة لسلطات الولاية.³

بعد ذلك جاء مرسوم 24 ديسمبر ، والذي قلب التدرج السلمي للمكاتب العربية والسياسية التقليدية المناوئة للنزعة الوطنية التي كان هذا التدرج السلمي يهدف إلى الإبقاء عليها. وصرح هذا المرسوم: بأن الضباط الذين يديرون هذه المكاتب لن تكون لهم السلطة شخصيا ، وتمنع عليهم كل مراسلة رسمية خارج القادة الإداريين ، حيث يجب أن يوافق المحافظ غير العادي على تعيينهم وله أن يراقب من ثم كل المستخدمين الإداريين ، والمدنيين منه (والعسكريين) ، كما نص على إلغاء المكتب السياسي العربي واسند جزء من اختصاصاته إلى السلطة المدنية العليا.⁴

كما أمر بالإجابة الآلية إلى مجلس الحرب ، في حالة حدوث اضطرابات كل ضباط وزعماء المكاتب العربية وأعاونهم في أي مركز مع إلزامهم : لتبرير ما بذلوا من جهود في سبيل الاحتياط ضد وقوع التمرد ولتقديم الدليل على ما اتخذوا من تدابير لمنع انتشارها

¹- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق، ص 195.

²- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص771.

³- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص177.

⁴- صالح فركوس، المرجع السابق، ص412.

فكان هذا النص يقبل بكل الاتهامات التي يوجهها المعمرين ، وكان ذلك بمثابة فضح حقيقي لهيئة المكاتب العربية انعكس على الجيش برمته.

هذا ما دفع بأغلب ضباط هذه الهيئة إلى تقديم استقالتهم بعد اطلاعهم على هذا المرسوم لولا أن دعاهم الجنرال (لألمان) إلى التراجع عن هذه الاستقالة الجماعية.¹

وفي 30 ديسمبر جاء مرسوم آخر ، نص على إنشاء منصب مفتش عام للأقاليم العسكرية يختاره وزير الداخلية من بين الموظفين المدنيين الذين يتقنون العربية والذين تتمثل وظائفهم في التنقل بين القبائل العمالة وتفقدتها وتفتيشها ، والاستماع للشكاوى وجمع كل الملاحظات المفيدة ومعاينة وضعية واحتياجات الإقليم العسكري.²

وفي يوم أول جانفي 1871م أسست في كل عمالة وظيفة حارس إداري عام للمنظمة العسكرية ، وبمقتضى هذا القرار عين روستان حارسا إداريا في عمالة قسنطينة ابتداء من يوم 03 فيفري 1871.³

كان إنشاء هذين المنصبين قد وجه ضربة جديدة للاحتكار المنتظم للمكاتب العربية ، كما قامت حكومة الدفاع الوطني بتوجيه ضربة أخرى لهذه المؤسسة بموجب مرسوم 06 فيفري 1871م والذي نص على أن الضباط القائمين بإدارة الأقاليم العسكرية وكذا رؤساء المكاتب العربية ومساعدتهم سيعينون في مختلف المناصب التي من شأنهم أن يشغلوها من قبل وزير الداخلية بناء على اقتراح من الجنرال القائم بالإدارة وبعد أخذ رأي الوالي أو الولاة المفوضين ، لهم ولم يصبح للجيش منذ ذلك الوقت دور إلا دور اقتراح الضباط المنتدبين من الحرب على السلطة المدنية لإدارة الأقاليم العسكرية.⁴

اعتبر هذا القرار ضربة لهيئة المكاتب العربية ، ولكن تبعه قرار آخر يوم 16 فيفري نص على وضع إدارة المناطق والرؤساء العسكريين تحت سلطة عمال العاملات.

¹ - شارل روبيير اجيرون ، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919 ، ج1 ، المرجع السابق ، ص45.

² - شارل اندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 780.

³ - يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص198.

⁴ - شارل اندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 781.

وبذلك ربح المعمرون جزءا من أهدافهم وبقي أمر الاستيلاء على أراضي العرش ، وإلغاء الملكية الشخصية التقليدية للأهالي وتم بصدر قانون الملكية العقارية يوم 26 جويلية 1873م.¹

كان الجنرال شانزي هو آخر حاكم عسكري ينتمي إلى الجيش والى المكاتب العربية (حكم الجزائر من 1873 لغاية 1879) ففي عهده تم توسيع رقعة الأراضي الخاضعة للحكم المدني إذا بلغت 53،416 ك في سنة 1873 إلى 176 بلدية في سنة 1879م. وفي يوم 06 مارس 1891م نطق جيل فيري بجملة معبرة عن تغير الأوضاع لصالح المستوطنين 1871 إلى غاية 1883م استلم المستوطنون البلديات من المكاتب العربية التابعة للجيش ارتفعت الضرائب العربية بمعدل 17 مرة عن تلك التي كانت تجمعها المكاتب العربية.²

وقد أجمعت الصحافة والنوادي ،ولجان الدفاع ،على أن السلطة العسكرية هي التي كانت في كل الظروف والفترات تحمي الجزائريين ،وتمنع الأوروبيين من أخذ أراضيهم تطبيقا لقرار السيناتور سكونسلت الصادر يوم 22 أفريل 1863م ،ولهذا طالب الجميع بترحيل كل الضباط.³

فقد كانت معظم عناوين الصحف الفرنسية تدور حول حلقة واحدة وهي أنه لا مناص إطلاقا لمن كسر شوكة السلطة العسكرية .وذلك لأنها توصلت إلى قناعة مفادها :من المستحيل نكران أن الانتفاضات التي حدثت ،بالدرجة الأولى محصلة نظام المكاتب العربية. كما كتب المستوطن بيزي من أجل زيادة الفتنة والتحريض في كتاب له يحمل عنوان (حقيقة نظام الحكم العسكري في الجزائر) حيث كتب : في حالة اندلاع أي حركة عصيان فما عليكم إلا أن تستخرجوا عن طريق القرعة ،عشرة من ضباط المكاتب العربية وتقديمهم أمام مجلس المحلفين وأن تنتظروا النتيجة ...أضمن لكم أنها ستكون نتيجة جيدة.⁴

¹- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق، ص198.

²- عمار بوحوش، المرجع السابق ، ص178.

³- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، ص199.

⁴- شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، المرجع السابق، ص45.

ونتيجة لهذه الكتابات الصحفية جاءت دعوى تسمى بالمكاتب العربية في شهر نوفمبر 1871م رفعها الجنرال وولف قائد ناحية الجزائر العاصمة ضد هذه الصحف وذلك من أجل الدفاع عن ضباط المكاتب العربية.¹ فردد قائلاً: (أما التهم الموجهة ضد الضباط المكلفين بإدارة الشؤون العربية ، بدعوى إثارة العرب ضد المستوطنين ،فهذا بهتان مبين وحيلة لن تتطلي على أي رجل نزيه.²

لقد كان الحوار الذي دار في المحاكمة قد جعل من ضباط المكاتب العربية والجنرال وولف متهمين ، حيث حكم على هذا الجنرال في النهاية بدفع الرسوم القضائية. وكانت تلك المحاكمة السياسية التي أرادها معمرو القطر الجزائري ،من أجل انتصار أحقادهم ضد القوات العسكرية بالجزائر ،وكذا من أجل تحقيق تصوراتهم حول مستقبل القطر الجزائري.

بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة مع بداية عام 1872م وذلك بصدور جملة من المراسيم المتتالية تستهدف تعميم النظام المدني في الأقاليم العسكرية ،وجعلها تابعة لإدارة البلديات والدوائر والولايات والمحاكم الفرنسية وإخضاع الجزائريين لمزيد من أنواع الظلم والقهر والإبادة.³

وفي يوم 15 مارس 1879 م جاء البيروقراطي كحاكم عام مدني، وكان أول قرار له منح الحكم المطلق للأوروبيين في الجزائر بحيث يشعرون وكأنهم في بلدهم فرنسا. وتحقيقاً لرغبات المستوطنين الأوروبيين جاء مرسوم في 26 أوت 1881م، الذي يجعل جميع المصالح الإدارية في الجزائر ملحقة بباريس ولهذا أصبح دور الحاكم العام شكلي حيث يقوم بنقل الأوامر من باريس إلى الجزائر ،ويتابع الاستيطان والشرطة والعدالة ،والتعليم الخاص بالمسلمين ، ولهذا قال جيل فيري بأن :الحاكم العام ما هو إلا مفتش للاستيطان في قصر ملك كسول.⁴

¹ - صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص413.

² - شارل روبر ايجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871.1919، ج1، المرجع السابق، ص46.

³ - صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص414.

⁴ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص178.

الفصل الثالث _____ دور المكاتب العربية في إخضاع الأهالي

لكن هذا التطور في الاستيطان والقهر بفضل المراسيم كان دافعا قويا للشعب الجزائري، كي يستقيض فيه الشعور الوطني وتتبلور حركته وشخصيته الوطنية والإسلامية لتفجير ثورة نوفمبر 1954م.

الخاتمة

لم يكن الوجود الفرنسي في الجزائر محض الصدفة بل كان مخطط له منذ الأزل لما تصخر به الجزائر من موارد طبيعية وموقعا استراتيجيا في المنطقة فقد كان لها ذلك سنة 1830م بعد معركة نافرين .

فعملت فرنسا بعد احتلال الجزائر وبعد توقيع معاهدة الاستسلام فبدأت فرنسا على عدة سياسات لظفر بهذه المنطقة ككل ولكن لم تكن الجزائر فريسة سهلة بل واجهت فرنسا وابلا من المقاومات الشعبية وفي نهاية هذه المذكرة نستخلص بعض النقاط لمشروع فرنسا الذي طبق بالجزائر لتحكم سيطرتها ونفوذها على كامل التراب الوطني

انشأت فرنسا ما يعرف بالمكاتب العربية والتي هي وسيلة تواصل بين الجنسين الأوروبي الجديد في الجزائر وصاحب الأرض

تعمل هذه المؤسسات على إخضاع الأهالي أصحاب الأرض الى السيطرة الفرنسية في الوهلة الأولى كانت غير مباشرة واما فيما بعد صارت معلنة .

- عملت هذه المكاتب على القضاء على ما بقي من مؤسسات الدولة الجزائرية
- كان الإخضاع يشمل عدة جوانب منها ما هو عسكري وديني واجتماعي
- بين سنتي 1857 و1870م وصل عدد المكاتب الى 49 مكتب .
- قامت فرنسا ايضا بمشروع ثاني وهو الاستيطان الفرنسي بالجزائر
- فيعتبر الاستيطان مهمة عسكرية حيث تم إنشاء مستوطنات بالجزائر سكنها المعمرين وسيتولون على الأراضي الزراعية للفلاحين.

- كان هدف الاستيطان هو اجتثاث كل ما هو جزائري سواء من سكان الأصليين والاستعلاء على أراضيهم
 - تأمين النهب الاستعماري والتوسع بالجزائر .
 - حرمان الجزائريين من أراضيهم وحقوقهم المسلوبة
 - تغريق المجتمع الجزائري بالجهل وطمس هويته وحضارتيه العريقة
 - ضغط المعمرين على الإدارة الفرنسية وإجبارهم علي اتخاذ تدابير لمصلحتهم.
- لم تترك فرنسا حل للجزائريين فجلبت المكاتب العربية وعملت على إخضاع الأهالي الى الإدارة الفرنسية إلى الإدارة الفرنسية
- فاتخذت جميع التدابير حول هذا الموضوع ومن بين هذه الأدوار الدور العسكري والدور الإداري والدور التعليمي والدور الثقافي .
- كل هذه الأدوار والسياسات لكن فرنسا لم تتجح في مخططاتها في إخضاع هذا الشعب الأبي رغم معاناته من الولايات إلا انا تلاحم الشعب الجزائري لحمه واحده في إفشال مخططات فرنسا كلها.

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. ابو القاسم سعد الله ، محمد الشاذلي القسنطيني(1877- 1807) دراسة من خلال رسائله و شعره ،الجزائر، 1914.
2. أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775 - 1850)، شركة وطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
3. آجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 - 1991 ، ترجمة حاج مسعود، ج1 ، دار الرائد، الجزائر 2007م،
4. اندري برينان واندري نوشبوا خرون، الجزائريين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح اسطنبولي منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
5. شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو و بدايات الاستعمار 1871- 1827، ج1، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2008.
6. صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1971 م، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر.
7. عبد الحميد زوزو، الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1939- 1837، ج1، دار هومة، الجزائر، 2009.
8. علي بطاش، لمحمة عن تاريخ منطقه القبائل الحياة الشيخ الحداد 1871، ط3، دار الأمل، الجزائر، 2010.
9. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، د ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
10. عماره هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

11. محفوظ قداش، جزائر الجزائريون 1830 م 1954م، ترجمة: محمد المعرابي، منشورات الجزائر، 2008 .

- الرسائل والمذكرات الجامعية:

1. مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس إسماعيل اوريان 1812 - 1884،

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007 - 2008.

2. عزالدين بومزو، الضباط الفرنسيون الادرايون في اقليم الشرق الجزائري ارست

مرسيه نموذجاً، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف الاستاذ الدكتور مصطفى حداد، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007 - 2008.

- قائمة المصادر المراجع باللغة الاجنبية:

1. CH.Richard, du gouvernement arabe et de l'instition qui doit l'escercer.alger, 1848.
2. F.Hugonnet ,française est arabes en Algérie ,paris ,1860.
3. R.Peyronnet ,liverdor des officiers indigenes 1830-1930, alger,1930,
4. Rey Goldzeiguer. Le Royaume arabe la politique algérienne de napoléon III 1870 Alger ,1977.
5. x.Yacono les bureaux et l'évolution des genres de vie idigines dans l'ouest du Tell-algérois ,paris,1953.

الفهرس

أ-ب مقدمة

الفصل الاول

المكاتب العربية

04 المبحث الأول: مفهوم المكتب العربي ومهامه

08 المبحث الثاني: تنظيم المكاتب العربية

12 المبحث الثالث: ضباط المكاتب العربية

19 المبحث الرابع: تطور المكاتب العربية وموقف المعمرين منها

الفصل الثاني

الاستيطان الفرنسي بالجزائر

27 المبحث الأول: مفهوم الاستيطان

30 المبحث الثاني: أسباب الاستيطان

32 المبحث الثالث: أشكال وأهداف الاستيطان

38 المبحث الرابع: مراحل الاستيطان

الفصل الثالث

دور المكاتب العربية في سياسة اخضاع الاهالي

61 المبحث الاول: الركن العسكري

67	المبحث الثاني : الركن الإداري.....
75	المبحث الثالث: الركن التعليمي والثقافي.....
82	المبحث الرابع: الركن الاقتصادي والاجتماعي.....
88	المبحث الخامس: نهاية المكاتب العربية.....
96	الخاتمة.....
99	قائمة المراجع.....
102	الفهرس.....

